

نشاط الخوارج في البصرة والأحواز



د. أسماء عبد الله غني العزاوي

٢٠١٨ م

نشاط الخوارج في البصرة والأحواز

الاهداء

الى من اورثني الآداب وكرم الاخلاق...
الى من علمني دروس الحياة...
الى من غرس في قلبي بذرة الحب للجميع...
الى النبراس الذي انار لي الطريق...
الى القلب الكبير... والروح الطاهر...
الى معلمي الاكبر ومدرستي الكبرى...
إليك يا أبي (رحمك الله) اهدي هذا البحث...
فتقبل مني هذا المجهود فهو ثمرة غرسك ونفحة
طيبك ونتيجة فعلك وإشعاع سراجك واستوف قسطاً
من دينك وبعضاً من افعالك وعذراً ان كنت مقصراً فما
الكمال الا لله....

المقدمة ونطاق البحث وتحليل المصادر

أن ظهور الاسلام وانتشاره في شبه جزيرة العرب ونشوء الدولة العربية الاسلامية وحالة التوسع التي وصل اليها العرب لنشر دينهم وفتح البلدان المجاورة، جعل العرب في حالة استقرار، كان لها اثر كبير في تطور الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي عند العرب على الرغم مما شكله هذا التغيير أو التبدل في التركيب النفسي العربي (ميولاته، نزواته، سلوكه، تصرفه) ومواجهة المرحلة الجديدة لقيام الدولة وبسط سلطانها مما أدى الى ظهور قادة افاذا ذوي طموحات كبيرة تميزوا بالشدة والشجاعة والعزم والارادة، فضلاً عن ذلك الوعي الديني والسياسي الذي مكنتهم من مواجهة الاخطار التي تحق بالامة الاسلامية.

هذه دراسة متواضعة تناولت جانباً من مرحلة مهمة من تاريخ الدولة العربية من خلال عرض التطورات السياسية والعسكرية التي وقعت فيها نتيجة لظهور حركات سياسية، وبما يشكل ذلك من اثر في بناءها لذلك فأن دراسة الفرق والحركات الفكرية والسياسية من الدراسات المهمة في تاريخ العرب الاسلامي لأنها تلقي الضوء على جوانب متعددة لهذا التاريخ فضلاً عن ذلك أنها تبين مراحل القوة والضعف التي تنتاب الدولة العربية الاسلامية من خلال قوة هذه الحركات أو اخمادها ومن معرفة قوة الخلافة الاموية في اجراءاتها المتشددة في القضاء على تلك الحركات واستئصال شافئها خاصة وأن التاريخ العربي شهد حركات دينية سياسية كانت تستهدف ضرب الاسلام والاطاحة بنظام الحكم واسقاط الدولة العربية الاسلامية.

من هنا تأتي اهمية بحث دراستي، من خلال تسليط الضوء على تلك الحركات

التي ظهرت في الدولة العربية الاسلامية والتي اقلقت الخلافة مدة طويلة سياسياً واقتصادياً لأنها كانت اكثر الحركات ضراوة في سجلاتها الكلامية أو وقائعها العسكرية فضلاً عن سعة المناطق التي ظهرت فيها أو التي وصلت اليها (الكوفة، البصرة، الاحواز، سجستان، المغرب العربي).

تناول موضوع بحثي نشاط الحركة الخارجية في البصرة والاحواز ومعرفة مسبباتها أو عوامل ظهورها وما عرف وكتب عنهم، وعن افعالهم، وتعدد فرقهم، والاختلاف بين عقائدهم ثم بيان وضع الخلافة في تلك المرحلة وهي تواجه خصماً داخلياً يمتاز بالقوة والفتنة وكثرة الاتباع، وكيف تعامل الخلفاء والولاة معهم ما بين الشدة واللين من اجل الحد من نشاط تلك الحركة التي استفحل امرها وكلفت الدولة خسائر مادية وبشرية.

منذ الوهلة الاولى ادركت صعوبة بحثي لاسيما بعد أن عرفت اني لن استطيع الحصول على كتب لمؤلفين خوارج أو ممن قصر مؤلفه عليهم وعلى حركاتهم وعقائدهم حتى يتسنى لنا معرفة اراءهم وافكارهم كما يعرضوهاهم وما هي الظروف التي دفعتهم الى اتخاذ هذا الموقف أو ذاك والعوامل السياسية والاقتصادية التي اجبرتهم على مواجهة جيوش الخلافة والولايات التي منو بها. هذا فضلاً عن فقدان الكثير من الكتب التي كتبت عن الخوارج ولا سيما فيما يتعلق بالكتب الاباضية.

الخوارج احدى تلك الفرق الفكرية والسياسية والدينية التي عارضت الخلافة الاسلامية ويرتبط تاريخهم وتسميتهم بمسألة التحكيم بين الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن ابي سفيان والي الشام بعد لقاء ممثلي الطرفين ونعني بهما ابا موسى الاشعري وعمرو بن العاص، والنتائج التي تمخضت عنه.

تتميز حركة الخوارج عن باقي الحركات بكونها حركة سياسية فكرية دينية

استطاعت أن تبني آراء ومبادئ ومكتتها من ضم الكثير من الانباع الى صفوفها فضلاً عن ظهور قادة كبار مشهورين بينهم مما جعل مواجهتهم امراً عسيراً على الجيوش الاسلامية في المناطق التي ظهروا فيها، فضلاً عما تميزوا به من قدرة على المحاجبة والموهبة الخطابية والقدرة على استمالة السامعين اليهم. هذا مع اندفاعهم الشديد في قتال خصومهم مما لم نلمسه في ظهور ونشاط أية فرقة اخرى.

وقد تناولنا جانباً بسيطاً عن حركة الخوارج بعد تحديد المنطقة التي بدأت في دراستها وهي (البصرة، الاحواز) واقتصرت في الحقيقة دراستنا على معالجة موقف الخوارج هنا والعوامل التي ساعدت على وصولهم الى هذه المنطقة فضلاً عن ذكر الوقائع التي خاضوها وموقفهم مع اخوانهم في البصرة والكوفة واثر تغيير الاوضاع السياسية في قوة حركتهم أو خمولها.

وقد اشتمل البحث على تمهيد واربعة فصول وخلاصة، يتضمن التمهيد عرضاً للاوضاع السياسية في الدولة العربية الاسلامية قبل ظهور الخوارج والتي شملت الاوضاع الادارية والسياسية في عهدي الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) وما كان لها من انعكاسات على تطور الوضع السياسي والنتائج التي ظهرت من جراء هذه الاضطرابات.

اما الفصل الاول فقد تناولت فيه ظهور الخوارج والاضاع التي ساعدت على خروجهم اثر وقعة صفين والنتائج المرتبة على التحكيم وما تلاه من احداث عسكرية تمثلت بوقعة النهروان ثم فيما بعد استشهاد الامام علي (رضي الله عنه) على ايدي احد الخوارج وما تتبع ذلك من ازدياد في نفوذهم وقوتهم في عهد الخلافة الاموية اثر تنازل الامام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة لمعاوية.

واما الفصل الثاني فقد تطرقت فيه الى عقائد الخوارج ومبادئهم والتي تبلورت

فيما بعد من حيث درجة إيمانهم والمبادئ التي آمنوا بها ودعوا إليها على الرغم من التفاوت في الآراء بين فرقة وأخرى.

وخصص الفصل الثالث لعرض لمحة تاريخية جغرافية عن مدينة البصرة وموقعها، كذلك تقسيماتها الإدارية وأوضاعها السياسية لمعرفة الأسباب التي دفعت الخوارج في الرحيل من الكوفة إلى البصرة ثم بينت حركات الخوارج ونشاطهم السياسي هناك ومقارعة ولاية الدولة الأموية وما شكلوه من خطر على العامة مما أقلق الجيوش العربية الإسلامية وقادتها لمدة طويلة والتي كلفت بالقضاء على حركاتهم.

وكرس الفصل الرابع لإعطاء لمحة تاريخية جغرافية عن منطقة الأحواز من حيث الموقع والتسمية وطبيعة الأوضاع التي كانت سائدة فيها والتي كانت عاملاً مشجعاً لاستقطاب الخوارج إليها، وقد ركزنا في هذا الفصل على حركة الاذرافة ونشاطهم فيها واتخاذهم إياها معسكراً لحركاتهم الحربية وجعلها منطقة انطلاق لهجماتهم المتكررة على البصرة، ولا سيما في الوقت الذي تولى المهلب بن أبي صفرة مهمة مقاتلتهم للقضاء عليهم، مما كان له الأثر في اندفاعهم إلى ناك ومن ثم مقاسمتهم على اثر خلافاتهم العقائدية مما سهل القضاء عليهم.

ولقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة مصادر متنوعة متشعبة فيها التاريخية والعقائدية والأدبية والجغرافية، وسأقتصر على ذكر المهمة الرئيسية منها وحسب قدمها التاريخي.

الكتب التاريخية:

يأتي في مقدمة الكتب كتاب (وقعة صفين) لأبي الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري (212هـ/827م) الذي زودنا بمعلومات مهمة عن ظهور الخوارج جراء تلك الوقعة ودورهم الكبير في بث التفرقة والانقسام بين صفوف المسلمين، كما أوضح

لنا نشاطهم العسكري تجاه الخلافة.

ثم كتاب تاريخ (خليفة بن خياط) (ت240هـ/854م)، وهو من اقدم الكتب التاريخية التي وصلت إلينا بالحواليات، ويستعرض في كتابه لأحداث الخوارج بصورة مختصرة وبحسب توالي السنين، مشيراً إلى بعض المعلومات الثمينة التي لم تورد في كتب التاريخ الأخرى.

ويعد كتاب (الامامة والسياسة) لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م)، (منسوب إليه) من الكتب التاريخية المهمة لما تضمنته من أحداث تاريخية مهمة عن الفترة التي شملت أوضاع الدولة الأموية في العهد الراشدي والعصر الأموي وما تلاه من أحداث عن نشاطات الخوارج وأثرهم في تزعزع واضطراب أوضاع الدولة العربية الإسلامية لمدة طويلة من الزمن.

ولقد وجدت في كتاب (انساب الأشراف) لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ/892م)، معلومات مهمة وواسعة عن حركات الخوارج، فهو يتتبع أخبارهم بدقة وشمولية، مع اعتناؤه بتحديد السنين في معظم الأحداث المهمة. ويأتي كتاب البلاذري الآخر (فتوح البلدان) الذي لا يقل أهمية عن كتابه الأول بما عرض لنا عن فتح البلدان وتحريرها وتمصيرها وكيفية إدارة ولاية الخليفة لها، إدارياً واقتصادياً.

ولقد استفدت أيضاً من كتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت282هـ/895م) ويعد كتابه من الكتب المهمة على الرغم من معلوماته المختصرة وغير مسندة، لكنه تضمن بعض الروايات المنفردة أحياناً عن الكتب الأخرى ولا سيما فيما يتعلق بموقف الخوارج من الإمام الحسن (عليه السلام) والاضطرابات التي أثاروها في صفوف جيشه في أثناء مقاومته لمعاوية والي الشام.

اما كتاب (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/ 895م)، فيعد من المصادر التاريخية المهمة، اذ اشار الى ظهور الخوارج ونشاطاتهم المتكررة في الامصار الاسلامية من دون الاسهاب في ذلك لذا جاءت رواياته مختصرة الى حد ما.

ويعد كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/ 922 م) من اهم الكتب التي ارتكز عليه كتابة البحث، وتأتي اهمية هذا الكتاب من خلال روايته التاريخية المسندة، فهو يورد اكثر من رواية واحدة عن الحدث الواحد. فهو كتاب تاريخي كبير ضم الاحداث السياسية والادارية وبذلك فهو يَدون مختلف الاحداث التي مرت بالخوارج منذ نشأتهم حتى نهايتهم، وفيه نجد اخباراً كثيرة ومتنوعة ونادرة لا توجد في كتب اخرى.

ويعد كتاب (الفتوح) لأبي محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت314هـ/ 926م) من الكتب المهمة، فهو يحتوي على مادة تاريخية غزيرة عن نشاطات الخوارج البحرية ومناوأتهم للخلافة الاموية.

اما كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/ 957م)، فهو كتاب تخلو اخباره من السند التاريخي، كما انها تبدو منقطعة ولا تخضع للتسلسل التاريخي فجاءت مادته عن الاحداث التاريخية مختصرة بعض الشيء، ولذلك لم يورد المسعودي الا اخباراً قليلة عن الخوارج.

اما كتاب (الكامل في التاريخ) لأبن الاثير عز الدين علي بن ابي الكرم (ت630هـ/ 1232م) فهو يعد من الكتب المهمة في التاريخ الاسلامي، فكانت اغلب رواياته قد اخذت عن الطبري، الا أن اهميته تكمن بترجيح الرواية التي يعتقدها اقرب الى الواقع، مع تهذيب بعضها أو دمج بعضها الآخر.

فضلاً عن المصادر الأخرى ومنها (الجزء الحادي عشر لمصنف مجهول) فهو يعد من المصادر التاريخية المهمة لما يتضمن من معلومات ثمينة وواسعة عن حركات ونشاطات الخوارج ومقارعتهم للخلافة الأموية.

كتب الفرق:

تعد كتب الفرق من أهم الكتب التي احتوت معلومات قيمة عن عقائد الخوارج ومنها كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) لأبو الحسن بن اسماعيل بن اسحاق الأشعري (ت324هـ/935م)، الذي ورد بشيء من التفصيل عن آراء الخوارج الدينية، أما الأحداث التاريخية فقد جاء بها باختصار مع إعطاء إشارات مهمة عن ذلك.

ويعطي كتاب (الفرق بين الفرق) لأبي المنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هـ/1037م)، مادة ثمينة وقيمة لكل فرقة من فرق الخوارج مع ذكر عقائد وآراء كل فرقة عن الأخرى.

أما كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الاندلسي (ت456هـ/1063م) فهو يورد مادة مختصرة عن عقائد الخوارج مع بعض الإشارات التي لم تورد في المصادر الأخرى.

ويبحث كتاب (التبصير في الدين وتميز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة) لأبي المظفر عماد الدين الأسفرائيني (ت471هـ/1078م)، أخبار الخوارج وعقائدهم بشيء من الاختصار.

ويعطي كتاب (الملل والنحل) لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني (ت548هـ/1153م)، مقدمة تاريخية مختصرة عن أخبار الخوارج وعقائدهم، ويذكر أيضاً هم زعماءهم وفرقهم وعقائد كل فرقة وخلافات بعضها عن الأخرى.

كتب الطبقات والتراجم:

ومن الكتب التي استفدت منها لتراجم بعض الشخصيات البارزة في اطار موضوع بحثي، (كتاب الطبقات الكبرى) لأبن سعد (ت230هـ/844م) وكتاب (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء) لأبي نعيم الاصبهاني (ت430هـ/1038م) وكتاب (اسد الغابة في معرفة الصحابة) لأبن الاثير (ت630هـ/1232م) وكتاب (الاصابة في تمييز الصحابة) لأبن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م) وكتاب (شذرات الذهب من اخبار من ذهب) لابن العماد الحنبلي (ت1098هـ/1678م).

الكتب الادبية:

ومنها كتاب (الكامل في اللغة والادب) لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت285هـ/898م)، فهو يعد من الكتب المهمة والقيمة التي ارتكز عليه البحث لما فيه من معلومات مهمة دقيقة وواسعة عن الخوارج، فلم يقتصر كتابه على القضايا الادبية، بل يتسع فيورد اخباراً تاريخية مهمة، ولقد انفرد ببعض الروايات التي لم تور في الكتب الاخرى فجاءت روايته مكمل ومفيدة لمعلومات بحثي، فقد خصص المبرد جزءاً كاملاً لحركات الخوارج ونشاطاتهم الحربية ومواهبهم الادبية وعقائدهم الدينية.

ويعطي كتاب (نهاية الارب في فنون الادب) لشهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/1332م) معلومات مهمة تاريخية وادبية واسعة عن نشاطات الخوارج العسكرية، ومواهبهم الادبية، منذ نشأتهم حتى نهايتهم، وقد اقتبس الكثير من رواياته من الطبري.

الكتب الجغرافية:

اعتمدت في البحث على بعض الكتب الجغرافية التي امدتني بمعلومات مهمة

عن اقاليم الدولة العربية الاسلامية من حيث تسميتها وتقسيماتها الادارية، ومنها مختصر كتاب البلدان لأبن الفقيه الهمداني (ت290هـ/ 902م) وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت300هـ/ 912م)، وكتاب (صورة الارض) لأبن حوقل (ت367هـ/ 977م)، وكتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي البشاري (ت380هـ/ 990م)، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت656هـ/ 1228م) الذي يعد من اهم الكتب لما يتضمن من معلومات جغرافية غزيرة عن الاماكن والمناطق والمدن التي امتد اليها نشاط الخوارج.

وفي الختام ارجو ان اكون قد وفيت البحث حقه، واكون قد اسهمت في ابراز جانب مهم من الحركات السياسية خلال حقبة مهمة من التاريخ العربي الاسلامي.

الفصل الاول

الاضاع الساسية في الدولة العربية الاسلامية

قبل ظهور الخوارج

التمهيد

توالت الاحداث في الدولة العربية بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) 23هـ / 643م في طريق حافل بالفتن والاضطرابات السياسية⁽¹⁾ وقد استغل هذا الوضع بنو امية الذين كان جلهم على جانب كبير من الكفاءة ومنهم معاوية بن ابي سفيان الذي تولى زعامتهم خلال هذه المرحلة.

ونتيجة لما تذكره المصادر التاريخية عن المشاكل الادارية التي أحدثتها عمال الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وولائه على الامصار في سنوات خلافته الست الاخيرة وتقريبه لأعمامه واقربائه للمراكز المهمة في الدولة⁽²⁾ فضلاً عما تذكره

(1) وهذا يعود الى السياسة الحازمة التي اتخذها الخليفة عمر تجاه راعيه، بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية من جراء الفتوحات، حيث اجبرهم على الإقامة في معسكرات خارج المدن حفاظاً على خصالهم الحربية وعاداتهم وطبائعهم مما ابقاها محاربين اشداء لا يميلون الى حياة الترف وارحاء، ولكن هذه السياسة انتهت بمجيء الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي لم يتشدد في سياسته كما فعل سلفه، بل سمع بانطلاق الصحابة التابعين الى الامصار الاسلامية، وامتلاك الضياع فيها، في الوقت الذي لم تنح الاعراب الفرصة للاشتراك في الفتوحات فنظرت القبائل اليهم نظرة مملوءة بالحسد والغيط فكانت نقطة انطلاق العصبية القبلية بين الاعراب. ابو جعفر بن محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط4 (القاهرة، دار المعارف، 1966)، 134/5.

(2) ابو حنيفة بن محمد بن داود الدينوري (ت282هـ/895م) الاخبار الطوال، تصحيح فلايمير جرجاس، ط1 (لیدن، مطبعة بريل، 1888)، ص148، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م) الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، 2/475)، سمير صالح حسن العمر، عثمان بن عفان وسيرته ودوره السياسي: رسالة ماجستير (آداب بغداد، 1990، ص86-88).

المصادر من نفيه لابي ذر الغفاري⁽¹⁾ الى الربذة⁽²⁾ حتى توفي فيها. وعقابه لعبد الله بن مسعود «وهو احد القراء الذين يقرون عليه اهل الكوفة والبصرة»⁽³⁾.

تسبب كل ذلك في حدوث الفتنة المؤسفة التي انتهت باستشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في (18/ ذي الحجة 35هـ/ 655م)⁽⁴⁾ فكانت اول مأساة حلت بالعالم الاسلامي، وما سوف يتعقبها من تحزب العرب احزاب ادت الى انقسام وحدة صف المسلمين، ولكن على الرغم مما ذكره المؤرخون عن سياسته الادارية، فمن الاجحاف ان يتهم الخليفة عثمان وهو الذي كرس جهده وعنايته في وضع مصحف موحد لكافة المسلمين⁽⁵⁾ فضلاً عما عرف عنه حسن الخلق والجود

(1) واسمه (جندب بن جنادة) وكان بالشام ينكر على معاوية جمع المال فكتب بأمره الى الخليفة عثمان حتى استدعائه الى المدينة، فصار يكثر بالشناعة على من كنز الذهب والفضة فنفاه الخليفة الى الربذة وتوفي هناك ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ/ 957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت، المكتبة الاسلامية، 1948)، 2/ 349، ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني (ت 430هـ/ 1038م) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط1 (بيروت، دار المكتبة العلمية، 1981/ 190).

(2) الربذة: قرية من قرى المدينة، على ثلاثة ايام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت 626هـ/ 1228م) معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، 1977)، 3/ 24.

(3) محمد بن يحيى بن بكر الاشعري المالقي الاندلسي (ت 741هـ/ 1340م) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق محمد يوسف زايد، (بيروت، دار الثقافة، 1964)، ص 50، 74.

(4) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/ 897م) تاريخ يعقوبي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، (النجف، المكتبة الحيدرية، 1964)، 2/ 164 - 165، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر صاحب حمة المعروف بأبو الفداء (ت 732هـ/ 1331م) المختصر في اخبار البشر، (القسطنطينية، دار الطباعة، 1886، 1/ 179)، المالقي: التمهيد والبيان، ص 309 وما بعدها، محمود رضا: عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، ط2 0القااهرة، مطبعة عيسى الحلبي وشركاءه، 1964)، ص 177، 181.

(5) عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1232م) اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد ابراهيم البناء (بغداد، مكتبة المثنى 1970) 3/ 585 - 576، رفيق بك العظم: اشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة ط1 (القااهرة، مطبعة

وكرم الشمالي، فأستغل بنو أمية قرابتهم للخليفة واستأثروا بامتيازات مادية مما أدى إلى قيام الساخطين بالفتنة.

بوع في السنة نفسها الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فقبلها زهد فيها⁽¹⁾ فكان اول عمل استهل به خلافته هو عزله عمال الامصار التابعين للخليفة عثمان (رضي الله عنه) واستبدلهم بعمال جدد، وكان معاوية والي الشام ممن شمله هذا القرار فقد كان بديله سهل بن حنيف الذي اتجه الى الشام ليستلم عمله ولكن حينما وصل الى تبوك⁽²⁾ قابله جند معاوية فقالوا له «ان كان احد بعثك غير عثمان فارجع»⁽³⁾. وبذلك صار الامر واضحاً ان معاوية والشاميين لا يؤيدون بيعة الخليفة علي (رضي الله عنه) بل راحوا يطالبونه بالاقتصاص من قتله الخليفة الثالث، وقد صور رسول معاوية هذا الامر الى الخليفة الرابع بقوله «اني تركت الف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق»⁽⁴⁾ فاستغل معاوية الوضع لتحقيق مآربه في اثارة عواطف المؤيدين له لنيل الخلافة فأخذ يثير المشاعر والخواطر لمقتل الخليفة، وحشد بما لديه من اساليب الدهاء في اذهان الناس بأخذ الثار والاقتصاص من قتله الخليفة، وتوجيه انظارهم نحو الامام علي (رضي الله عنه) واتهامه بالاشتراك في هذا الجرم الشنيع فلم يكن في وسع الخليفة الا خلعته من ولاية الشام على الرغم من نصيحة المغيرة بن شعبة وابن العباس له بتثبيت معاوية في عمله، مبررين ذلك أن معاوية لا يسعى الا للحفاظ على منصبه وسلطانه وفي سبيل ذلك لا يبالي بمن يلي

متنّدية، د. ت 1 / 776.

(1) الطبري، تاريخ، 4 / 427، ابن الاثير، الكامل 3 / 81.

(2) تبوك (موضع بين وادي القرى والشام)، ياقوت الحموي، معجم البلدان 2 / 14.

(3) ابو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، ص 150.

(4) الطبري، تاريخ 4 / 444.

الخلافة⁽¹⁾ فعارضهم الخليفة واصر على موقفه قائلاً «لا اداهن في ديني ولا اعطي الدنيا في امري»⁽²⁾.

وهكذا تطور الخلاف بين الخليفة والوالي في الوقت الذي اجتمع عدد من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام عند الامام علي (رضي الله عنه) قائلين «يا علي، انا قد اشترطنا اقامة الحدود، وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل واحلوا انفسهم فقال لهم يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم»⁽³⁾. فضلاً عن ذلك كان الامام علي لا يستطيع معاقبة اشخاص لا يعرفهم حق المعرفة وان كانوا داخل معسكره اذ لا يمكن تمييزهم فلم يحصل على اعتراف او بينة من احدهم بالقتل على شكل يمكن العمل به وفي الوقت نفسه لا يستطيع ازاء هذه الاوضاع المضطربة ان يطالب بدم الخليفة عثمان، فلو حصل ذلك لاشتد نفور الناس عنه⁽⁴⁾. حينئذ نصح الامام علي (رضي الله عنه) وللذين طالبوا بد الخليفة ان يترثوا حتى اذا ما هدأت النفوس وعاد الامن الى نصابه تمكن من انزال الجزاء بالجناة، الا أن نصابه لم تجد اذنأ صاغية وهنا بدأ الانقسام بين صفوف المسلمين فتكونت الاحزاب السياسية بعضها يساند الخليفة الرابع وبعضها يخرج عليه، وهناك من التزم الحياد فلم ينضم الى احد الحزبين.

فخرج كل من طلحة بين عبيد الله والزبير بن العوام الى مكة بحجة اداء العمرة⁽⁵⁾

(1) ابو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، ص151، ابن الاثير، الكامل 3 / 78.

(2) الطبري، تاريخ 4 / 444، ابن الاثير، الكامل 3 / 87.

(3) ابن الاثير، الكامل، 30 / 87.

(4) ابو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني (ت403هـ / 1012م) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة تحقيق محمود محمد الخضير، محمد عبد الهادي ابو ريده (القاهرة، دار الفكر العربي، 1947)، ص230.

(5) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص150، ويذكر اليعقوبي «ان علياً قال لهما او لبعض اصحاب والله ما اراد العمرة ولكنها اراد الغدرة» 2 / 169.

ويعزى سبب موقفهما هذا لغضبهما على الخليفة الرابع بعدم توليتهما مصري العراق⁽¹⁾ واتهما الفرصة حينما أعلن معاوية الخلاف والعصيان، فخرجا على الامام علي وتمكنا من اقناع السيدة عائشة ام المؤمنين التي كانت تؤدي فريضة الحج بالانضمام اليهما والمطالبة بدم الخليفة الثالث⁽²⁾ ولقد انضم الى جانبهم اغلب عمال الخليفة عثمان (رضي الله عنه) المعزولين عن أمصارهم فأستقر رأيهم بالتوجه الى البصرة بناء على اقتراح عبد الله بن عامر بقوله «في البصرة لي بها صنائع وعدد»⁽³⁾ ولما بلغ الامام علي ذلك تناسى امر معاوية والشام وتوجه الى العراق لمواجهةهما على الرغم من محاولة بعض الصحابة منعه من ذلك الا انه اصر على موقفه بقوله «ان الاموال والرجال ولأهل الشام وثبة احب أن اكون قريباً منهم»⁽⁴⁾. وواضح أن الامام علي (رضي الله عنه) اراد الاعتماد على العراقيين في صراعه مع معاوية وهذا يفسر لنا نقله للعاصمة الى الكوفة، ولا شك أن ذلك ترك فراغاً دينياً وسياسياً في الحجاز بينما حقق للعراق شأناً كبيراً بانتقال حاضرة الخلافة الاسلامية اليه وبذلك توجه الطرفان نحو البصرة فانقسمت البصرة بين المؤيد والمعارض⁽⁵⁾ حتى كان الاشتباك في اواخر سنة 36هـ / 656 م، فكانت معركة عنيفة انتهت سريعاً في يوم واحد بهزيمة الخلفاء الثلاثة قتل طلحة والزبير، اما السيدة عائشة فقد توجهت نحو

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال ص 157.

(2) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 153، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/ 152، شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ / 1333 م) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى ابراهيم، محمد رفعت فتح الله، (القاهرة، المكتبة العربية للكتاب، 1975) 2/ 62.

(3) ابو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ / 889 م) الامامة والسياسة (منسوب اليه) تحقيق طه محمد الزيني (القاهرة، مطابع سجل العرب، د. ت. 1/ 44، المسعودي: مروج الذهب 2/ 366.

(4) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 152. 153.

(5) الامامة والسياسة، 1 / 64 - 65.

المدينة بأمر الخليفة⁽¹⁾ وبعد انتهاء هذه الواقعة بايع أهل البصرة الخليفة علي (رضي الله عنه) وولى عليهم عبد الله بن عباس، ثم خرج متوجهاً نحو الكوفة وبذلك فقد انتظم الأمر لأمر المؤمنين في العراق والحرمين ومصر واليمن وخرسان وفارس⁽²⁾.

(1) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص159، أحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709هـ / 1309م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (القاهرة، المطبعة الرحمانية، د. ت) ص64، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، 1 / 183، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1 (القاهرة، مكتبة النهضة، 1985) ص374.

(2) البعقوبي: تاريخ 2 / 172، المسعودي: مروج الذهب، 2 / 381، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر 1 / 183.

الفصل الثاني

النشأة التاريخية للخوارج

- 1 - وقعة صفين
- 2 - مسألة التحكيم
- 3 - ظهور الخوارج
- 4 - وقعة النهروان
- 5 - استشهاد الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)
- 6 - خلافة الامام الحسن بن علي (عليه السلام) وموقف الخوارج منه

أولاً: وقعة صفين⁽¹⁾ وشرها في ظهور الخوارج:

بعد وفاة الجمل سنة 36هـ/ 656م، تبلور النزاع الذي انحصر بين والي الشام معاوية بن ابي سفيان وبين الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) الذي كان يواجه المشاكل التي جابهته في العراق بعد تسلمه الخلافة، في حين كان معاوية يجمع صفوفه في بلاد الشام ويؤلب اهلها عليه، متهماً اياه بالتستر على قتله الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، وقد استطاع معاوية بدهائه أن يستثير نفوس المسلمين في بلاد الشام، فما ان وفد عليه النعمان بن بشير الانصاري بقميص الخليفة عثمان ملطخاً بدمه واصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة معلقة في طرف القميص حتى عمد الى وضع هذا القميص على منبر المسجد الجامع ولم يكتف بهذا بل اخذ يجتمع بالناس ويتحدث اليهم عن مقتله والناس يسمعون ويبيكون، مما زادهم حقداً وغلاً على الخليفة علي، فاقسم عندها رجال الشام أن لا يناموا على فراش حتى يثأروا للخليفة عثمان ممن قتلوه⁽²⁾. كما اجمعوا في الوقت نفسه على مبايعة معاوية اميراً عليهم، فبعث الرسل الى مناطق شتى يدعوهم للبيعة له بالأمانة فبايعوه باستثناء شرحبيل بن السمط الكندي عامل حمص الذي بايعه بالخلافة مع اهل حمص فكتب اليه يقول «انك اخطأت خطأ حين كتبت الي انا اباع بالإمرة، وانك تريد أن تطلب بدم

(1) وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي من الرقة وبالس ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 414.

(2) الطبري: تاريخ 4/ 562، ابن الاثير: الكامل، 3/ 161، ابن الطقطقي: الفخري، ص 165، النويري: نهاية الارب 20/ 101، يوليوس ولهاوزن، الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العث (دمشق، مطبعة الجامعة السورية، 1956)، ص 63.

الخليفة المظلوم وانك غير خليفة، وقد بايعت من قبلي لك بالخلافة⁽¹⁾ فدعا معاوية الناس واطلعهم على الكتاب، فدعاهم الى بيعته فأجابوه واستقام الأمر⁽²⁾.

اما الامام علي (رضي الله عنه) فبعد فراغه من وقعة الجمل سير جرير بن عبد الله البجلي عامل عثمان على اذربيجان يعد اخذ بيعته، الى معاوية يدعوه الى الدخول في طاعته او الايذان بالحرب⁽³⁾.

فاطلع معاوية على مضمون كتابة الخليفة فأشار عليه اخوة عتبة بن ابي سفيان بأن يستعين بعمر بن العاص الذي كان مقيماً في ضيعة له بفلسطين معتزلاً للفتنة.

فأرسل بطلبه⁽⁴⁾ وابدأ موافقته لمساعدة معاوية في صراعه مع الخليفة على أن يولي مصر⁽⁵⁾ وبذلك تتطور الخلاف بين الخليفة والوالي وعلى الرغم من استمرار تبادل الوفود والكتب بين الكوفة ودمشق التي كانت تنطوي على محاولات حسم الخلاف بين الجانبين ولكن من دون جدوى حتى تطور الخلاف الى وعيد وتهديد ومن ثم آل الأمر الى مجابهة في صفين⁽⁶⁾ فتأهب الخليفة علي (رضي الله عنه) لقتال معاوية وبدأ يستنهض الناس على الحرب والجهاد، فاستجابت له القبائل وانضم اليه قراء الكوفة والبصرة وكثير من المهاجرين والانصار، غير أن اعتزال الصحابي الجليل

(1) الامامة والسياسة، 1/ 74، السيد عبد العزيز سالم: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية 0بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. ت) ص 236.

(2) الامامة والسياسة، ص 74.

(3) المسعودي: مروج الذهب 2/ 381، ابن الاثير: الكامل 3/ 161.

(4) الامامة والسياسة 1/ 86، المسعودي، مروج الذهب 2/ 318.

(5) اليعقوبي: تاريخ 2/ 176، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/ 184، النويري، نهاية الارب، 20/ 101.

(6) انظر عن المراسلات، ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، 166 وما بعدها، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت 314هـ/ 926م) الفتوح ط 1، (حيد اباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية د. ت) 2/ 374 وما بعدها.

عبد الله بن مسعود ومعه اربعمائة من اصحابه، لشكوك كانت تساورهم في أمر هذا القتال⁽¹⁾. كان هذا بداية الوهن والضعف في معسكر الخليفة، فمثل هذا العدد كان يشك في احقية طاعة الخليفة في قتال معاوية.

استجابت القبائل لنداء الخليفة علي (رضي الله عنه) في الوقت الذي كان معاوية قد تهيأ ايضاً لمواجهة قوات الخليفة فعبأ قواته⁽²⁾ وظل الجيشان مدة شهرين بدءاً من ذي الحجة عام 36هـ/656م حتى محرم عام 37هـ/657م معسكرين الواحد منهما مقابل الآخر، فقضيا هذه المدة من دون قتال، وتبادلا الرسل⁽³⁾ ولكن هذه المفاوضات لم تسفر عن حسم الموقف المتحرج صلحاً بل كانوا «يفزعون الفزعة فيزحف بعضهم الى بعض وتحجز القراء بينهم ولا يكون بينهم قتال»⁽⁴⁾ فعزم الجانبان على الحرب بعد انقضاء محرم، اذ بعث الخليفة علي (رضي الله عنه) في اليوم الآخر من محرم كتاباً الى معاوية يدعوه الى كتاب الله فكان جواب معاوية له «السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا»⁽⁵⁾.

وفي الاول من صفر 37هـ/657م دارت رحى الحرب بين الجانبين وبأعنف صورة ولاح الفوز في بادئ الامر لجند الشام، غير أن جند العراق ما لبثوا ان جمعوا شملهم بقيادة الاشر بن مالك النخعي ومضوا في حربهم، حتى كاد الأمر ينتهي بانتصار اهل

(1) ابو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري (ت212هـ/827م) وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2 (القاهرة، مطبعة المدني، 1382) ص66.

(2) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص182 - 183 ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح 2/437، 439.

(3) الطبري: تاريخ 5/5، ابن الاثير: الكامل 3/172، محمد فريد ابو الحديد، مناظر من وقعة صفين، مجلة الرسالة (القاهرة) عدد 17 لسنة 1933، ص9.

(4) ابن سيار المنقري: وقعة صفين، ص190، هادي حسين، حمود القراء ودورهم في الحياة العامة في صدر الاسلام والخلافة الاموية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد 1984، ص212.

(5) المسعودي، مروج الذهب 2/387، ابن الاثير، الكامل 3/169.

العراق، فقد واصل الاشر زحفه حتى وصل الى حيث يعسكر جند الشام⁽¹⁾ ولما رأى هؤلاء الجند أن الخطر يهددهم، فكر عمرو بن العاص في اصطناع خديعة ينهي بها القتال، فأشار على جنده رفع المصاحف على الرماح ليكون الحكم بينهم⁽²⁾.

وكان يسعى من وراء ذلك احداث انقسام في صفوف جيش الخليفة علي الذي كان يضم عدداً من القراء وبذلك عبر عمرو عن فكرته بقوله لمعاوية «فأن ابى بعضهم أن يقبلها وجدت منهم من يقول ينبغي لنا ان نقبل، فتكون فرقة بينهم، وأن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل»⁽³⁾. ولقد ادرك الخليفة هذه الخدعة، فأقبل على اصحابه يحذرهم من المكيدة⁽⁴⁾ الا أن ذلك لم يجد نفعاً فقد جاءه من رجاله زهاء عشرين ألفاً يتقدمهم مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين مع جماعتهم من قراء، فنادوه بأسمه لا بأمره امير المؤمنين «يا علي اجب الى كتاب الله.. والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان»⁽⁵⁾. وهكذا بحيلة ودهاء عمرو بن العاص رجحت كفة معاوية فتفرق جيش الخليفة علي (رضي الله عنه) واختلفت كلمتهم، وتشتت شملهم، فتناسوا امر معاوية، واخذوا يوجهون اللوم على الخليفة تارة اخرى، فكان لهذا الأمر اثره

(1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 3/ 303 - 304، ابن الاثير: الكامل 3/ 191 - 192 شهاب الدين احمد المعروف بأبن عبد ربه الاندلسي (ت328هـ/940م) العقد الفريد، تحقيق خليل شرف الدين ط1 (بيروت، مكتبة الهلال 1986) 4/ 145 محمد جلال شرف: نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام (بيروت، دار النهضة العربية، 1982) ص74.

(2) الطبري: تاريخ 48/ 5 ابن اعثم الكوفي، الفتوح 2/ 306 النويري: نهاية الارب 20/ 144 يوسف الشيخ عبد المحسن البابطين، حركة الخوارج ونشأتها واسبابها، رسالة ماجستير، جامعة الكويت، 1977، ص37.

(3) الطبري: تاريخ 48/ 5، ابن الاثير: الكامل، 3/ 192.

(4) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 3/ 307، ابن الاثير: الكامل 3/ 193، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/ 186.

(5) ابن سيار المتقري: وقعة صفين، ص489 - 490، الطبري: تاريخ 94/ 5، ابن الاثير: الكامل 3/ 312 ابن الطقطقي: الفخري ص66، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 186/ 1.

في اجبار الخليفة علي قبول التحكيم، يقابل هذا الاضطراب والتفكك، والوحدة، والتأهب، والتنظيم في صفوف قوات معاوية، وبذلك استغل والي الشام هذه الظروف لاستعادة وضعه العسكري والسياسي لكي يحسم امره في الجولة الاخيرة، وفعلاً تمكن من ذلك عندما استجاب اهل العراق لفكرة التحكيم في كتاب الله فأضطر امير المؤمنين تحت اصرارهم أن يتتحنى عن قتال معاوية بقوله «وان تعصوني فأصنعوا ما بدا لكم»⁽¹⁾. بل راحوا يهددونه بالانسحاب منه اذا لم يطلب من الاشر بن مالك النخعي الكف عن الحرب⁽²⁾ فأرسل اليه الخليفة وكاد قد اشرف على معسكر معاوية ليدخله - يطلب منه وقف القتال والعودة اليه، الا أن الاشر رفض في بادئ الأمر، فارتفعت الاصوات التي اتهمت الخليفة بالمماطلة بحسم الأمر، فأرسل امير المؤمنين بطلبه مجدداً والتوقف عن القتال، فلم ير الاشر الا الاذعان لطلب الخليفة خوفاً من الفتنة⁽³⁾.

ثانياً: مسألة التحكيم:

وجه الخليفة علي (رضي الله عنه) بعد أن اضطر لوقف القتال الاشعث بن قيس الكندي⁽⁴⁾ الى معاوية ليستوضح منه ما ارداه معاوية ليرجع نحن وانتم الى ما أمر

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، 489 - 490 الطبري: تاريخ 49/5، ابن الاثير: الكامل 193/3 ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 186/1.

(2) الطبري: تاريخ 49/5، ابن الاثير: الكامل، 193/3.

(3) ابن اعثم الكوفي، الفتوح 312/3 وما بعدها، ابن الاثير: الكامل 193/3 ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 186/1.

(4) الاشعث بن قيس ابن معدي كرب الكندي وكنيته ابو محمد، امير كندة في الجاهلية والاسلام، قدم على الرسول (ص) مع وفد كندة، فاسلم، وفي عهد ابي بكر (رض) امتنع مع قومه من تأدية الزكاة، فأرسل الخليفة قواته وحاصر حضر موت، الامر الذي دفع الى استسلام الاشعث فعفى عنه وزوجه بأخته ام فروة ولقد شهد الكثير من الوقائع، فقاتل مع سعد بن ابي وقاص الفرس في العراق، وفي عهد الخليفة علي (رض) كان معه يوم صفين، وحضر قتال الخوارج في النهروان،

الله به في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به، ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه⁽¹⁾. عاد الأشعث إلى الخليفة يخبره بجواب معاوية، فرضي به الكثيرون من جنده، فأضطر إلى الموافقة حرصاً منه على حقن دماء المسلمين بعد أن حاول عبثاً أن يبين لهم أن رفع المصاحف ما هي إلا خدعة ومكيدة⁽²⁾. وقع اختيار أهل الشام على عمرو بن العاص ليكون حكماً لهم، أما أهل العراق فأنهم لم يسمحوا لأمر المؤمنين في اختيار من يطمئن إليه، فألح الأشعث بن قيس الكندي وأصحابه في اختيار أبي موسى الأشعري⁽³⁾ فذكرهم الخليفة بعصيانه

ثم عاد إلى الكوفة حتى مات في الوقت الذي تصالح فيه الإمام الحسن (ع) مع معاوية سنة 41هـ. محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/ 844م) الطبقات الكبرى 22/6 (بيروت دار صادر، 1985) 22/6، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ/ 1070م) تاريخ بغداد، تحقيق أوفست كونزو غرافير (بيروت، مطبعة أوفست كونزو غرافير، د. ت) 1/197، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت966هـ/ 1574م) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (القاهرة، المطبعة الوهبة، 1283هـ) 2/289، خير الدين الزركلي، الاعلام، ط3 (بيروت، 1969) 333/1-334.

(1) الطبري: تاريخ 51/5، المسعودي: مروج الذهب 401/2، المطهر بن طاهر المقدس (ت355هـ/ 966م) كتاب البدء والتاريخ (باريس 1916) 220/5-221 ابن الطقطقي: الفخري ص66، النويري: نهاية الأرب 20/147.

(2) ويذكر المؤرخون موقف الأشعث من رفع المصاحف بقوله لهم يا أهل العراق لا تجيئوهم أمهلوني... فأني قد طمعت في النصر.. فقال انخدعتم والله ما انخدعتم، ابن الأثير: الكامل 3/194، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 1/186، النويري: نهاية الأرب 20/246.

(3) عبد الله بن قيس بن سليم بن حظار بن حرب، أبو موسى الأشعري من قحطان وهو مشهور باسمه وكنيته معاً، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة، قدم إلى المدينة بعد فتح استعمله النبي (ص) على بعض اليمن وكربيد وعدن، وقد ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على البصرة بعد المغيرة بن شعبة سنة 17هـ، افتتح الأحواز ثم أصبهان، استعمله الخليفة عثمان (رض) عليهم بعد عزل سعيد بن العاص، وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب (رض) كان والياً على الكوفة ولقد استبدله الخليفة بوالى جديد اسمه قرظة بن كعب الأنصاري حينما رفض أمر الخليفة في استنفار الناس أثناء توجه الإمام علي إلى العراق لمواجهة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بقوله إنما هي فتنة وإن النائم بالفتنة خير من القائم خير من الساعي، وكما أنه كان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزلهما، بعد أن خدعه عمرو بن العاص فرجع إلى

وخذلانه له حتى اضطر الى عزله عن عمله⁽¹⁾ ولما اراد ترشيح عبد الله بن عباس بدلاً عنه رفض اصحابه بشدة قائلين «لا نريد الا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس واحد منكما بأدنى منه الى الآخر»⁽²⁾ كما انهم رفضوا أن يختار الاشتر بن مالك الذي كان يرغب في مواصلة القتال حتى النصر⁽³⁾ وعليه قبل امرهم، فبعثوا الى ابي موسى الاشعري وكان معتزلاً الحرب مقيماً «بعرض من اعراض الشام»⁽⁴⁾ ويذكر المؤرخون في رواية اخرى حينما اراد أمير المؤمنين ترشيح عبد الله بن عباس هب الاشعث ومن معه قائلين «لا والله لا يحكم فينا مضران حتى تقوم الساعة»⁽⁵⁾.

يتجلى لنا في هذه الرواية موقفان في آن واحد، الاول موقف الامام علي (رضي الله عنه) وضعف مركزه ازاء اصرار جماعة القراء، بوقف القتال من ناحية والقبول بأبي موسى الاشعري من ناحية اخرى، وبهذا بدأ امير المؤمنين يفقد زمام الأمور رويداً رويداً وقد شكاً بنفسه سوء حاله بقوله «وقد كنت بالأمس اميراً، فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً، فليس لي أن احملكم على ما

الكوفة وبقي فيها الى ان توفي سنة 44هـ ابن سعد: الطبقات، 4/ 105، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري (ت 852هـ/ 1448م)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق ابن الرئيس (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، م 2/ ج 4/ 120.

(1) ابن سيار المنقري: وقعة صفين، 499، ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، 205، اليعقوبي: تاريخ، 2/ 178، ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 4/ 1 - 4022.

(2) الطبري: تاريخ، 5/ 51، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/ 186، النويري: نهاية الارب، 20/ 148.

(3) ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 4/ 2، النويري: نهاية الارب، 20/ 148.

(4) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 205، ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 4/ 6.

(5) ابن سيار المنقري: وقعة صفين، ص 500، ابن اعثم الكوفي: 4/ 2، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، (ت 1111هـ/ 1699م) صمط النجوم العوالي: في انباء الاوائل والتوالي (القاهرة، المطبعة السلفية، 1380هـ)، ص 451.

تكرهون»⁽¹⁾. وكان يأمل من تصرفه هذا إعادة الوحدة بين صفوف جيشه وتجنب التشتت والانقسام، ولكن كل هذه التنازلات لم تعمل على تحقيق ما يصبو اليه، ولم تعالج الانقسام الذي دب داخل معسكره منذ أن رفعت المصاحف بل أن مسألة التحكيم لم تزد الثغرة الاتساعاً، وهذا ما سوف نلاحظه فيما بعد.

اما الموقف الثاني: العصبية القبلية المضمورة في النفوس، وأن لم تخرج الى حيز الوجود، الا انها ما أن تجد الفرصة حتى تخرج كالشرارة، فكانت هذه اساس الفتنة والانقسام في داخل معسكر الخليفة علي (رضي الله عنه) عندما رفضوا أن يحكم بينهما مضران، ولولا تلك العصبية لأختير عبد الله بن عباس ولكانت الاحداث السياسية تسير بشكل مغاير عما خطط لها معاوية، فضلاً عن التنازع الذي حدث بين ابو الاشر، والاشعث بن قيس بشأن قبول التحكيم ووقف القتال، فمالت اليمانية مع الاشعث حتى كاد القتال ينشب بينهما⁽²⁾ من خلال ذلك سندرك خطورة الوضع السياسي والعسكري في معسكر الخليفة، لأن هذه المنافسة القبلية بين قواده افقدته السيطرة على عكس ما نراه في معسكر معاوية الذي كان يسوده الوحدة والتنظيم فلم يكن للانقسام والعصبية القبلية مكاناً بينهم وهذا ما جعل معاوية يتنزع الخلافة لنفسه، وجرى له ذلك عند اجتماع الحكمين المفوضين من اهل الشام والعراق في صفر سنة 38هـ/658م فكتبنا صحيفة تضمنت قبول المتنازعين التحكيم في كتاب الله «أن يحيا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنا في شيء من ذلك، فأن فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما براء»⁽³⁾ وحدد مكان اجتماعهما

(1) الامامة والسياسة 1/ 104، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 3/ 313.

(2) البعقوبي، تاريخ، 2/ 178.

(3) المسعودي: مروج الذهب، 2/ 403، د. محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3 (بيروت، دار الارشاد، 1969) ص 396 - 397.

بحضور عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، وتأمينهما على أنفسهما وأموالهما، واتفق الطرفان على أن يكتب اسم الخليفة علي (رضي الله عنه) من دون لقب أمير المؤمنين وفي ذلك اعتراف من قبل أهل العراق بنزول الخليفة إلى مرتبة الوالي المطالب بالخلافة وجعل الطرفان أجل القضاء إلى شهر رمضان على أن يجتمعا في مكان «عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام»⁽¹⁾. وقد شهد على هذه الوثيقة شهود من كبار الصحابة لكلا الطرفين⁽²⁾.

ثالثاً: ظهور الخوارج

لم تكن مسألة التحكيم قد وضعت الحد الفاصل للاضطرابات والمنازعات التي حدثت بين المسلمين فما أن كتبت وثيقة التحكيم حتى أمر الخليفة علي (رضي الله عنه) بالعودة إلى الكوفة ولحق معاوية بدمشق⁽³⁾. أما المعارضون للتحكيم فقد عادوا بطريق مغاير للطريق الذي سلكه أصحاب الخليفة، إذ يذكر الطبري وابن الأثير «عادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم، يقطعون الطريق بالشتائم والتضارب بالسياط»⁽⁴⁾.

أذن نتيجة التحكيم تسبب في تفريق جيش الخليفة علي (رضي الله عنه) فكان هناك بعض رجالات من قبائل مختلفة ابت عليه قبول التحكيم وفارقه⁽⁵⁾ فكانت

-
- (1) ابن سيار المنقري: وقعة صفين، ص 504 - 505، الإمامة والسياسة 1/114 - 115، تاريخ 53/5، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، 1/187، النويري: نهاية الأرب 20/150، محمد الرويني: التحكيم في الإسلام، مجلة دعوة الحق الرباط، عدد 4، لسنة 1966، ص 54.
 - (2) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص 209، يعقوبي: تاريخ 2/179، الطبري 5/54.
 - (3) ابن سعد: الطبقات 3/33.
 - (4) الطبري: الطبري: يخ 5/63، ابن الأثير: الكامل 3/197.
 - (5) ابن سيار المنقري: وقعة صفين ص 513، أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص 210، الطبري: تاريخ 5/53، النويري: نهاية الأرب 20/151، سليم النعيمي: ظهور الخوارج، مجلة

العامل الاساسي لظهور الخوارج وقد ساعدتها الظروف والاضطرابات التي كانت تواجه الدولة لكي تنضج هذه الحركة وبشكل كبير على مسرح الاحداث السياسية مما شكل خطرهما وتأثيرها في الخلافة من جهة وفي العامة من جهة اخرى وهذا ما حدث فعلاً عندما رفضت جماعة القراء مسألة التحكيم وقد بلغ عددهم اثني عشر ألفاً أن يدخلوا معه الكوفة فانحازوا عنه ونزلوا بحروراء⁽¹⁾. وجعلوا عليهم شبيب بن ربعي التميمي وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء، لاعتقادهم انهم اخطأوا بقبولهم تحكيم الرجال في دين الله فأخذوا يدعون الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽²⁾. وبعد تفاقم الأمر اضطر الخليفة أن يخرج اليهم ويتكلم مع زعيمهم عبد الله بن الكراء الشكري قائلاً لهم «ما الذي اخرجكم علينا؟ قالوا حكومتك يوم صفين»⁽³⁾ فبين لهم انه قبل التحكيم كارهاً وتحت اصرارهم وبمحض ارادتهم.. فقالوا «صدقت وكان ذلك كفرأ منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك»⁽⁴⁾ فرد عليهم الامام لي (رضي الله عنه) ابعد الرضا والعهد والميثاق ارجع؟ وذكرهم بالآية الكريمة «واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم»⁽⁵⁾. لم يكن من السهولة على رجل مثل الامام علي بمقامه الديني أن ينقض عهداً قطعه، وعلى الرغم من المناظرة التي جرت بينهم الا انه لم يجبه منهم الا نفر قليل، اما الآخرون فقد ابو الرجوع «فبرثوا من علي وشهدوا عليه بالشرك وبرئ علي

المجمع العلمي، بغداد عدد 15 لسنة 1967 ص 30.

- (1) وهي قرية بظاهر الكوفة، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/ 245.
- (2) ابو عمر خليفة بن خياط بن ابي هبيرة بن شهاب العصفري (ت 240هـ/ 854م) تاريخ خليفة بن خياط تحقيق اكرم ضياء العمري ط 1 (النجف، مطبعة الآداب، 1967) 174، الطبري: تاريخ 5/ 73-74، المسعودي: مروج الذهب 2/ 405، ابن الاثير: الكامل 3/ 204.
- (3) الطبري: تاريخ 5/ 66، ابن الاثير: الكامل 3/ 204.
- (4) ابن الاثير: الكامل 3/ 204، يوليوس ولهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده، (القاهرة، 1958) ص 56.
- (5) سورة النحل آية 91.

منهم⁽¹⁾ والجدير بالذكر أن فكر الخوارج هنا لم يتبلور بوضوح وإنما صاغوا مبادئهم فيما بعد كما سنعرض اليه عند حديثنا عن مبادئ الخوارج.

وحيثما سمع أصحاب الخليفة بتمرد هؤلاء قاموا فقالوا له «في اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت»⁽²⁾. فردت عليهم الخوارج قائلين «اسبقتم انتم واهل الشام الى الكفر كفرسي رهان»⁽³⁾. وهنا ظهرت فتتان من المؤمنين بالعقيدة الاسلامية الا أم مبادئهم مختلفة فالذين خرجوا على الامام عرفوا بالخوارج، واما الذين شابعوه فعرفوا بالشيعه ومن هنا انطلق تنازعهم الديني والسياسي فكان لذلك اثاره السيئة في تفريق وحدة صف المسلمين. وعلى الرغم من المناظرة التي دارت بين الخليفة والخوارج الا أن الصفاء بينهم لم يدم طويلاً فسرعان ما نقموا عليه مجدداً، حين اخذ يستعد للتحكيم، فبعث معاوية رسولاً الى الخليفة علي (رضي الله عنه) يحثه بالوفاء خشية أن يحمله يتبعه بعض اتباعه من اعراب بكر وتميم على العدول عن التحكيم⁽⁴⁾. فأمر الخليفة بإنقاذ ابي موسى الاشعري، مع عدد من الصحابة وبعث معاوية عمرو بن العاص في عدد مماثل من اهل الشام الى دومة الجندل⁽⁵⁾ وسارت الى هناك باذرح⁽⁶⁾ فئة اعتزلت الحرب ومنهم عبد الله بن عمر الخطاب وعبد الله بن الزبير وسعد بن ابي وقاص والمغيرة بن شعبة ليشهدوا اصدار قرار التحكيم⁽⁷⁾

(1) ابن سيار المنقري: وقعة صفين ص518.

(2) الطبري: تاريخ 64/5، ابن الاثير: الكامل 202/3، النويري: نهاية الارب 162/20.

(3) ابن الاثير: الكامل 202/3، النويري: نهاية الارب 162/20.

(4) الطبري: تاريخ 66/5، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة، ط5 (القاهرة، دار الفكر، 1975) ص80.

(5) دومة الجندل وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة، ياقوت الحموي: معجم البلدان: 2/487.

(6) اذرح: اسم بلد في اطراف الشام من نواحي البلقاء (جنوب دمشق، درعا حالياً) ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/129.

(7) اليعقوبي: تاريخ 179/2، الطبري: تاريخ 67/5، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 20/4، النويري:

وكان ذلك بناء على طلب معاوية اذ بعث لهم قائلاً «فأن الحرب قد وضعت اوزارها وصار هذان الرجلان الى دومة الجندل فاقدما عليها ان كنتم قد اعتزلتم الحرب فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس لتشهدوا ما يكون منها»⁽¹⁾.

وعليه يمكن القول أن السياسة الصارمة التي اتبعها معاوية تجاه رعاياه، أدت الى هذه النتيجة وبحسم الموقف لصالحه. في حين كان انصار الخليفة علي (رضي الله عنه) مستمرين في مناهضته فاذا ما خطب في المسجد قاطعوه بقولهم «لا حكم الا لله»⁽²⁾ حتى قال لهم «لكم عندنا ثلاثاً لا يمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا تمنعكم نصيبكم من الفى ما دامت ايديكم مع ايدينا، لا نقاتلكم حتى تقتالونا»⁽³⁾ واستمروا في ازعاجهم للخليفة بقولهم «جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله فيقول لهم الخليفة انتظر بكم حكم الله». فيستشهدون له بقوله تعالى «لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»⁽⁴⁾. وسرعان ما اجتمع هؤلاء الخوارج بعد أن تجمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، وزهدهم في الدنيا وامرهم بالمعروف والنهي عن المنكر ثم دعاهم للخروج من الكوفة الى كور الجبال او الى المدائن⁽⁵⁾ وقد اشار عليه حمزة بن سنان الاسدي بأن يولوا عليهم رجلاً منهم يكون لهم سنداً وعماداً، فعرضوها على اشخاص عدة، منهم زيد بن حصين الطائي وحر قوص بن زهير وحمزة بن سنان وشريح بن اوفى العبسي فرفضوا

نهاية الارب 20 / 151، ناجي حسن: التحكيم بين اذرح ودومة الجندل، المجلة التاريخية العراقية (بغداد) عدداً، لسنة 1970، ص 167.

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 211، الطبري: تاريخ 3 / 123.

(2) الطبري: تاريخ 5 / 73، ابن الاثير: الكامل 3 / 123.

(3) المقدسي: البدء والتاريخ 5 / 222.

(4) سورة الزمر آية 65.

(5) الطبري: تاريخ 5 / 75، ابن الاثير: الكامل 3 / 213، النويري: نهاية الارب 20 / 166 – 167.

جميعهم ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقال «هاتوها اما والله لا اخذها رغبة في الدنيا ولا ادعها فرقاً من الموت»⁽¹⁾.

فبايعوه في العاشر من محرم سنة 37هـ/657م⁽²⁾ وهكذا بدأت الفئة الخارجة تنتظم بأسلوب جديد حتى تطورت الى حركة خارجية لها قيادتها واجتماعاتها السرية التي تعقد ليتدارسوا فيها اوضاعهم وفعلاً عقد اجتماعهم الثاني عند شريح بن اوفى العبسي وهناك بدأوا يناقشون أمر خروجهم، ففي البداية قرروا السير نحو المدائن، ولكنهم غيروا رأيهم فقرروا التوجه الى النهروان⁽³⁾ ومن هناك كاتبوا اخوانهم بالبصرة حتى يتوجهوا اليهم فاحذوا ينزحون على شكل جماعات حتى لا ينكشف امرهم⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من اعتراض هؤلاء الخوارج على مسألة التحكيم وانحرافهم على صفوف جيش الخليفة علي (رضي الله عنه) وانعقاد اجتماعاتهم وتحركاتهم السرية والخطرة على موقف الخلافة، كل هذا والفريقان المتنازعان واصلاً اهتمامهما باجتماع الحكامين في المكان والموعود الذي حدد لهما، وظلا يجتمعان كل يوم وينصرفان واستمرا على ذلك اياماً حتى خشيت الناس من عودة الحرب مجدداً⁽⁵⁾ وكان عمرو بن العاص المعروف بدهائه السياسي وتديبره للحروب⁽⁶⁾ أن اقنع ابا موسى الاشعري أن يقدمه في الكلام بقوله انت صاحب رسول الله (ص) وانت اكبر مني سنأ، لذلك لم يجد صعوبة في اقناعه بل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد قتل

(1) الطبري: تاريخ 75/5، النويري: نهاية الارب 20 / 117.

(2) الطبري: تاريخ 75/5.

(3) النهروان: كورة واسعة من بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الاعلى متصل ببغداد، ياقوت الحموي: معجم البلدان 5/ 325.

(4) ابن الاثير: الكامل 214/3، النويري: نهاية الارب 20 / 167.

(5) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 28/4.

(6) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت459هـ/1037م)، تحفة الوزراء تحقيق حبيب علي الراوي، ابتسام برهون الصفار (بغداد، مطبعة العاني 1977) ص 113.

مظلوماً وأن معاوية ولي الخليفة عثمان، وابن عمه⁽¹⁾ استناداً الى قوله تعالى «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً»⁽²⁾. واستمرت محادثاتهما وبدأ كل منهما يرشح شخصاً يجد فيه المقدرة والكفاءة لتولي منصب الخلافة⁽³⁾. وازاء عدم اتفاقهما على اختيار امام جديد للمسلمين⁽⁴⁾ اتفقا أن يخلع الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن ابي سفيان والي الشام ويجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من احبوا⁽⁵⁾ ويبدو ان اتفاق الحكمين على خلع الاثنين يعد امراً مقبولاً من جميع المسلمين في كلا المعسكرين للخروج من هذه الفتنة، ولكن ما لم يكن في الحسبان ان تحل القضية بخدعة ودهاء عمرو بن العاص، فعلى الرغم من نصيحة ابن عباس لابي موسى الاشعري بقوله «ويحك! اني لأظنه قد خدعك ان كنتما قد اتفقتما على امر فقدمه، فيتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تكلم انت بعده فأَنْ عَمراً رجل غادر»⁽⁶⁾ إلا أنه لم يستمع الى نصيحته فتقدم واعلن قرار التحكيم قائلاً «اني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً»⁽⁷⁾.

- (1) ابو محمد عبد الله بن اسعد علي بن سليمان الياضي: ت768هـ/1366م، مرآة الجنان وعبرت اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1 (حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1337هـ) 1/105.
- (2) سورة الاسراء آية 33.
- (3) لمعرفة المزيد من التفاصيل ينظر، ابن سيار المنقري: وقعة صفين ص32، ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال ص213، اليعقوبي: تاريخ 2/179، الطبري: تاريخ 5/68، المقدسي: البدء والتاريخ 5/229، ابن الطقطقي: الفخري ص67.
- (4) الطبري: تاريخ 5/70، المقدسي: البدء والتاريخ 5/2229، ابن الطقطقي: الفخري، ص67، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/187، النويري: نهاية الارب 20/158.
- (5) اليعقوبي: تاريخ 2/179، النويري: نهاية الارب 20/158.
- (6) Sir Wiliam Muir: the callphate; Its Rise Decline and Fall (Edin Burgh 1924) p270
- (7) الطبري: تاريخ 5/70، ابن الطقطقي، الفخري: ص68، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/187، النويري: نهاية الارب 20/158.
- (7) الطبري: تاريخ 5/71، ظهير الدين علي بن محمد البغدادى المعروف بأبن الكازروني:

ثم تنحى واقبل عمرو بن العاص قائلاً «ان هذا خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما خلع واثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه»⁽¹⁾ وهنا تثار تساؤلات عدة منها ان اتفاق الحكمين على خلع الاثنين معاً يثير الغرابة فكأنما الاثنين في منصب واحد من أن معاوية لم يكن اكثر من وال على الشام ينصب ويخلع من الخليفة متى ما اراد ذلك الا ان التفاف اهل الشام حوله ومبايعته بالخلافة لا بالأمرة للمطالبة بدم الخليفة المقتول ظلماً كما اسلفنا سابقاً - يعني ان معاوية لم يكن يتصرف آنذاك والياً على الشام، بل كان بمثابة خليفة للمسلمين هناك، ومما حفزه على ذلك الاعوان والانصار له مما جعله يتحدى الخليفة، وبذلك تنقسم الدولة الاسلامية الى قسمين احدهما في العراق والاخرى في الشام. اذن فلا غرابة ان جعل الحكمان معاوية والخليفة علي (رضي الله عنه) في منصب واحد⁽²⁾.

اما التساؤل الثاني الا وهو مضمون الوثيقة فلو كان القرار قد وثق في هذه الوثيقة لما سار الأمر لصالح معاوية اذ تذكر سهير القلماوي «ان الحكمين لو اتفقا على شيء لكتباه ضمن ما كتباه في صحيفة التحكيم»⁽³⁾. الا اننا نجد في الوقت نفسه ما يذكره المقدسي ان عمراً قال لأبي موسى الاشعري «يجب ان لا تقول شيئاً الا كتبناه حتى لا نرجع عنه»⁽⁴⁾. وقد اتخذ الحكمان كاتباً لتسجيل ما يتفقان بشأنه في

697هـ/1297م مختصر التاريخ من اول الزمان حتى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد (بغداد، مطبعة الحكومة 1970، ابن الطقطقي الفخري: ص68، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/188. النويري: نهاية الارب 159/20.

(1) الطبري: تاريخ 5/71، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/188، سيد امير علي: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، ط1 (بيروت، دار العلم للملايين 1961) ص58-59.
(2) د. نايف محمود معروف: الخوارج في العصر الاموي ط3 (بيروت، دار الطليعة للطباعة 1986) ص83.

(3) ادب الخوارج في العصر الاموي (بغداد، 1945) ص27.

(4) البدء والتاريخ 227/5.

صحيفة خاصة بالاجتماع وهذا يعني ان عمراً كان حريصاً على تدوين كل ما يصدر من احكام الاجتماع وبذلك يؤكد الدكتور نايف محمود معروف بقوله «انهما لم يكتبيا في هذه الصحيفة غير ما اتفقنا عليه في بدء المفاوضات وهو ان الخليفة عثمان قُتلَ مظلوماً وأن لوليه سلطاناً وطاعة للطلب بدم الخليفة»⁽¹⁾. وبذلك نبرهن ان قرار التحكيم انهائي لم يُدون في الوثيقة بل اكتفوا بإعلانه شفهاً على الأمة وهذا مما ساعد عمرو بن العاص على الغاء ما اتفق عليه حالماً اقبل ليعلن قرار التحكيم والا لما كان يستطيع أن يغير ما كتب في الوثيقة ولا سيما قد شهد عليها كبار الصحابة ويتصرف عمرو هذا كان قد نقض ما اتفق عليه مع ابي موسى الاشعري ومما ادى الى تنازلهما، ثم انصرف كل فريق الى ناحية، فلحق ابو موسى بمكة وعاد وفد العراق الى الخليفة علي (رضي الله عنه) كما رجع اهل الشام الى معاوية حيث بايعوه مجدداً بالخلافة⁽²⁾ وبهذه النتيجة التي اصدرها عمرو بن العاص انتصر الامويين لأن بمقتضاه خلع الخليفة علي من الخلافة اما معاوية فلم يخسر شيئاً بل على العكس من ذلك فإنه حالماً رجع الى الشام بايعه اهلها مجدداً⁽³⁾. اما انصار الخليفة علي (رضي الله عنه) فرأوا أن الحكمين اختلفا ولم يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله كما شرط عليهم وقد اشار الخليفة الى ذلك في كتابه الى الخوارج بعد تفرق الحكمين قائلاً «ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله... فبرئ الله ورسوله منهما وصالح المؤمنين»⁽⁴⁾.

(1) الخوارج في العصر الاموي: ص 85.

(2) الطبري: تاريخ 71/5، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 36/4 - 37، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/188، النويري: نهاية الارب 20/159.

(3) المقدسي: البدء والتاريخ 229/5، اب الطقطقي: الفخري، ص 68، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/188، النويري: نهاية الارب، 20/160.

(4) الامامة والسياسة 1/123، الطبري: تاريخ 77/5، ابن الاثير: الكامل 216/34.

وفي ظل هذه الظروف الصعبة التّب مر بها الخليفة علي (رضي الله عنه) تفاقم امر الخوارج بينما استمر معاوية في تحقيق طموحاته ومد سيطرته على الاقاليم التابعة للخليفة فأرسل بعد صدور التحكيم جيشاً الى مصر بقيادة عمرو بن العاص وكان يلي مصر في هذه المدة، محمد بن ابي بكر فكان شاباً قليل الدراية بالأمر السياسية وادارة البلاد فأساء الى العثمانية في مصر بدلاً من كسبهم وارضائهم الى جانبه فتار عليه معاوية بن حديج السكوني ومسلمة بن مخلد وطالباً بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فانضم اليهما عدد كبير من اهالي مصر فاضطربت اوضاع مصر وفسدت احوالها في عهده فاستغل معاوية هذه الاوضاع⁽¹⁾ فسار عمرو بحملة مؤلفة من مئة الف رجل الى مصر وهناك انضمت اليه العثمانية فاشتبك مع قوات ابن ابي بكر في موضع يقال له المسناة⁽²⁾ ادت الى مقتله⁽³⁾ يؤكد الطبري اهتمام معاوية بمصر نظراً لعظم خراجها وكثرة اهلها⁽⁴⁾ وبعد الاستيلاء عليها منح معاوية ولاية مصر الى عمرو بن العاص بناء على الاتفاق الذي جرى بينهما قبل التحكيم وهكذا فقد ترتب على صدور قرار التحكيم ان يضعف مركز الخليفة علي (رضي الله عنه) فضلاً عن التشتت والانقسام الذي اصاب صفوف قواته، فظهرت نتيجة ذلك فرقتان: فرقة الخوارج، وفرقة الشيعة، وكان لكل منهما مبدؤها وموقفها من الخلافة وهذا ما حفز معاوية بن ابي سفيان على مواصلة الهجمات العسكرية على مدن العراق الواحدة تلو الاخرى

-
- (1) الطبري: التاريخ 95/5 وما بعدها، ابن الاثير: الكامل 226/3 وما بعدها.
 (2) المسناة موضع في شعر الكميت، آثار بدت بين المسناة الفحمي لعينيك ام برق في الليل ساطع، ياقوت الحموي: معجم البلدان 129/5.
 (3) ابن خياط: تاريخ 175/1، الطبري: تاريخ 105/5، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 188/1.
 (4) تاريخ 97/5 - 98.

فهاجم البصرة سنة 38هـ/659م⁽¹⁾ واخذ يوزع جيوشه في العراق فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل الى عين التمر⁽²⁾ سنة 39هـ/659م، كما وجه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل الى هيت والانباء والمدائن وارسل عبد الله بن مسعدة في ألف وسبعمائة رجل الى تيماء⁽³⁾⁽⁴⁾ بل ذكروا أن معاوية خرج بنفسه سنة 39هـ/659م حتى شارف دجلة ثم عاد⁽⁵⁾ كذلك سير معاوية قواته الى الجزيرة فانحاز الى نواحي الرقة كما بعث السرايا الى دارا⁽⁶⁾ والسماوة ودومة الجندل⁽⁷⁾ وفي العام التالي بعث معاوية بسر بن ابي ارطاة للأغارة على الحجاز واليمن ودخل بسر المدينة ولم يقابله احد وهدم بها دوراً ففر واليها ابو ايوب الانصاري الى الخليفة علي (رضي الله عنه) بالكوفة ثم سار بسر الى مكة وكره الناس على البيعة لمعاوية ثم زحف الى اليمن وقتل هناك جماعات من الابناء من انصار الخليفة علي⁽⁸⁾ وهكذا استقام الأمر لمعاوية في الشام ومصر والحجاز واليمن وعلى الرغم من الحملات التي ارسلها الخليفة علي للتصدي لقواته الا ان ذلك لم يشن عزيمة معاوية في تحقيق طموحاته في التوسع في الوقت الذي شغل الخليفة بمواجهة الخوارج الذين يهددون الخلافة.

- (1) ابن خياط: تاريخ 1/175، ابن الاثير: الكامل 3/232.
- (2) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار، ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/176.
- (3) تيماء بلد في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/67.
- (4) اليعقوبي: تاريخ 2/186، الطبري: تاريخ 5/133 - 134، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/188.
- (5) اليعقوبي: تاريخ، 2/136، الطبري: تاريخ، 5/136.
- (6) دارا في لحف جبل بين نصبين وماردين (ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/418).
- (7) ابن الاثير: الكامل 3/247، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية «تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية» مؤسسة شباب الجامعة 1988، ص 314.
- (8) اليعقوبي: تاريخ 2/186 - 187، الطبري: تاريخ 138/5، ابن الاثير: الكامل 3/250 - 251، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/189.

واخيراً يمكن ان نؤكد ومن دون مبالغة ان قرار التحكيم لم يؤد الى انقسام المسلمين فحسب بل احدث انقلاباً سياسياً انطلقت بعده التنازعات القبلية والصراعات السياسية طوال العصر الاموي.

رابعاً: وقعة النهروان 38هـ:

كان الخليفة علي (رضي الله عنه) قد عوم المسير لمحاربة اهل الشام بعد ان اعلن الحكماء رأيهما في خلافته، لكن تجمع الخوارج في النهروان اثار الرعب والقلق لدى العامة فكان العامل الرئيسي في تبدل رأي امير المؤمنين والتوجه لقتالهم. في هذا الوقت استطاع الخوارج الخروج من الكوفة في سرية تامة وعلى شكل جماعات وفراى متجهين الى النهروان فخرج شريح بن اوفى العبسي وكان معهم طرفه بن عدي بن حاتم الطائي فلحق به والده ليمنعه من المسير مع الخوارج غير انه لم يتمكن من ارجاعه فتوجه والده عدي نحو عامل المدائن سعد بن مسعود واخبره بتحركات الخوارج وحذره منهم فتحرك عامل المدائن مسرعاً في اثرهم مستخلفاً وراءه ابن اخيه المختار بن ابي عبيدة الثقفي⁽¹⁾ وحينما بلغ عبد الله بن وهب تحركه نحوهم عمد الى تغيير طريقه وتبعه سعد بن مسعود في خمسمائة فارس حتى التقى بهم فكان مع عبد الله ثلاثون فارساً، فاقتتلوا ساعة الا ان اصحاب سعد امتنعوا عن القتال بقولهم «ما تريد من قتال هؤلاء او لم يأتك منهم امر، خليهم فليذهبوا واكتب الى امير المؤمنين فأمر بك بأتباعهم وكفاهم غيرك»⁽²⁾ الا انه رفض أن يستمع الى كلامهم وظل يتابعهم في الوقت الذي كان عبد الله بن وهب قد تمكن من عبور دجلة متوجهاً الى ارض جوحى⁽³⁾ ومن هناك سار الى النهروان حتى بلغ اصحابه الذين ايسوا من

(1) الطبري: تاريخ 75/5، ابن الاثير: الكامل 214/3.

(2) الطبري: تاريخ 76/5، ابن الاثير: الكامل 214/3.

(3) جوحى: اسم نهر عليه كورة واسمه في سواد بغداد وهو ما بين خانقين وخوزستان، ياقوت

وصوله⁽¹⁾ في الوقت نفسه كان خوارج الكوفة قد راسلوا اصحابهم في البصرة الذين تجمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي⁽²⁾ وحينما علم امير البصرة عبد الله بن عباس بذلك ارسل بأثرهم ابا الاسود الدؤلي واستطاع اللحاق بهم عند الجسر الاكبر فحجز بينهم الليل فأستمر مسعر بالسير مع اصحابه يعترض الناس بطريقة⁽³⁾ وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيباني فلما دنوا من اخوانهم في النهروان التقوا بعبد الله بن خباب بن الارت وكان والده صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعندما اختلف معهم قتلوه وقتلوا زوجته⁽⁴⁾. وهنا يتضح مدى تطرفهم في آرائهم ومبادئهم حتى تحول بعضهم من الفئة الصالحة المؤمنة التي تدعو الى العمل الصالح والامر بالمعروف الى عصابة مارقة تقتل وتسرق، فلم يميزوا المسلم من الذمي أو الايمان من الكفر، فأصبحت افعالهم مغايرة لما يدعون اليه فأرتاب الناس منهم واصبح ذكرهم يبعث الخوف وارغب في نفوس المسلمين، وهذا ما حمل الخليفة علي (رضي الله عنه) على مناهضتهم بدلاً من التوجه لحرب معاوية وحسم الأمر معه. فلما بلغ الخليفة علي ومن معه من المسلمين امرهم بعت الحارث

الحموي: معجم البلدان 2/ 179.

(1) ابن الاثير: الكامل 3/ 214.

(2) ويذكر ابو حنيفة الدينوري نص الرسالة «فقد اجتمعوا بجسر النهروان فسيروا الينا رحمكم الله لتأخذوا نصيبكم من الاجر والثواب وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ثم وجهوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العباسي، فكتبوا اليهم بوشك موافاتهم». الاخبار الطوال ص 219.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 76 - 77، ابن الاثير: الكامل 3/ 215، النويري: نهاية الارب 169/ 20.

(4) ابو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بأبن قتيبة الدينوري: ت 276هـ/ 889م، المعارف تحقيق ثروة عكاشة (القاهرة، مطبعة دار الكتاب، 1960) ص 317، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبي: ت 748هـ/ 1347م، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري ط 1 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1987) 1/ 590، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: ت 774هـ/ 1372م، البداية والنهاية، ط 2 (بيروت، مكتبة المعارف 1974)، 7/ 288.

بن مرة لينظر فيما عندهم وما أن وصل اليهم حتى قتلوه فأتى خبره الى امير المؤمنين فرأى اصحابه في الكوفة أن ينهضوا اولاً الى هؤلاء الخوارج واذا ما فرغوا منهم اتجهوا الى اهل الشام وقد عبروا عن ذلك بقولهم «يا امير المؤمنين تدع هؤلاء القوم يخلفوننا في عيالنا واموالنا فسر بنا اليهم فاذا افرغنا من قتالهم رجعنا الى قتال اعدائنا من اهل الشام»⁽¹⁾ فاستجاب الخليفة علي (رضي الله عنه) لمشورة اصحابه وسار بهم الى النهروان ولم يبد الخليفة رغبة قتالهم بدءاً وحاورهم بقوله ادفعوا الينا قتله اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى القى اهل الشام»⁽²⁾ فلم يذعنوا لقوله واصروا على الحرب ومع ذلك لم يتراجع الخليفة واصحابه في دعوتهم بالرجوع الى ما عزموا اليه فتقدم قيس بن عباد يدعوهم بالرجوع الى الجماعة⁽³⁾ ثم تقدم بعده أبو ايوب الانصاري ولكنهم رفضوا الاستجابة بقولهم «انا لو بايعتكم اليوم حكمتكم غداً»⁽⁴⁾ وازاء اصرارهم هذا تقدم الخليفة علي (رضي الله عنه) ليناقتشهم ويحاورهم ثم دعاهم الى السلم فلم يجنحوا اليه⁽⁵⁾ فلم يكن امامه الا مواجهتهم عسكرياً فعبأ قواته وفي الوقت نفسه عبأت الخوارج قواته⁽⁶⁾ وعلى الرغم من ذلك فقد ابدى امير المؤمنين حرصه على عدم اراقة الدماء فجعل ابا ايوب الانصاري يرفع راية الامان، فانضوى تحتها عدد منهم، فروة بن نوفل الاشجعي مع جماعة من فرسانه⁽⁷⁾ وانسحب

- (1) الطبري: تاريخ 83/5، ابن الاثير: الكامل 219/3، ابن الطقطقي: الفخري ص 96، اليافعي: مرآة الجنان 116/1، ابن كثير: البداية والنهاية 288/7.
- (2) الطبري: تاريخ 83/5، ابن الاثير: الكامل، 219/3.
- (3) ابن الاثير: الكامل 219/3.
- (4) الطبري: تاريخ 84/5، ابن الاثير: الكامل 219/3.
- (5) اليعقوبي: تاريخ 181/2 - 182، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت 492هـ/ 1037 الفرق بين الفرق، تحقيق احمد زاهد بن الحسن الكوثري، (القاهرة، مؤسسة الثقافة الاسلامية، 1948) ص 47-48.
- (6) الامامة والسياسة: 127/1 - 128، الطبري: تاريخ 85/5، ابن الاثير: الكامل 221/3.
- (7) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 223 - 224، الطبري: تاريخ، 86/5، ابن الطقطقي:

طائفة أخرى باتجاه الكوفة، فكانوا أربعة آلاف فلم يبق مع عبد الله بن وهب الراسبي الا الفان وثمانمائة⁽¹⁾ الذين اخذوا يتقدمون باتجاه قوات الخليفة وهم ينادون «لا حكم الا لله... الروح الروح الى الجنة»⁽²⁾. ويشعارهم هذا نجد أن الخوارج كانوا يرون انفسهم الفئة المؤمنة حقاً، وانهم اصحاب الحق والعدل وأن قتالهم للخليفة علي واصحابه انما يمثل بنظرهم جهاداً وواجباً يفرضه الدين ضد الكفر والشرك ولذا فهم يأملون الشهادة ليلا قوا اجرهم من الله برواحهم الى الجنة ولهذا قاتلوا بعنف واندفاع لم تشهد أي طائفة أخرى في خروجها على الخليفة وازاء هذا لم يجد الخليفة علي (رضي الله عنه) بدأ من قتالهم فقسم قواته الى فرقتين⁽³⁾ فحاصرهم واشتبكوا معهم سنة 38هـ/658م حتى تمكنوا من قتل زعمائهم وكان ابرزهم زيد بن حصين الطائي وعبد الله بن وهب الراسبي وحر قوص بن زهير الطائي وعبد الله بن شجرة السلمي⁽⁴⁾ وبذلك فقد الخوارج بعض رؤسائهم ورجالهم البارزين.

وعلى الرغم من انتصار الخليفة في هذه الواقعة الا انه لم يتيسر له القضاء عليهم نهائياً على آرائهم وتطرفهم فتسلل بعضهم الى الكوفة كما قامت جماعة منهم في البصرة وبمرور الوقت التف حولهم الكثير من الانصار فصارت حركتهم من اخطر الحركات السياسية والفرق الاسلامية في الدولة العربية الاسلامية. ويذكر البغدادي

الفخري ص70.

(1) الطبري: تاريخ 86/5، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص48، ابن الاثير: الكامل 3/221.

(2) ابن الاثير: الكامل 3/221.

(3) الطبري: تاريخ 86/5، ابن الاثير: الكامل 3/221.

(4) الطبري: تاريخ 87/5، ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/957م): التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي، واعادة طبعة بالافسيت (بغداد مكتبة المثنى، د. ت) ص256، ابن الاثير: الكامل 3/222، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبي 748هـ/1347م: العبر في خبر من غير تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت، 1960) 1/44.

والقلقشندي في هذا الصدد «أن معركة النهروان اخلفت وراءها تسعة انفس من الخوارج ذهب اثنان الى عمان واثنان الى كerman واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة، وواحد الى اليمن فظهرت بعهم وتطرفهم في تلك البلاد»⁽¹⁾ وانتشرت افكارهم وهذا يدل على أن جذور الخوارج لم تقلع نهائياً. فبعد وقعة النهروان راحوا يعيدون تنظيم حركتهم اذ سرعان ما ظهروا مجدداً بتنظيم واطار مختلف له زعماءه واعضاؤه ومبادئه، إذ برزوا بصورة أشد عنفاً وقوة واصراراً على المجابهة والتصدي. ولما فرغ الخليفة علي (رضي الله عنه) من القضاء على فتنة الخوارج في النهروان دهعا انصاره من جديد الى قصد الشام، إلا انه لم يجد منهم اذناً صاغية فأعاد القول عليهم واخذ يعظهم ويثير حماسهم الا انهم ردوا عليه قائلين «يا أمير المؤمنين نفذت نبأنا وكلت سيوفنا ونصلت سنة رماحنا وعاد أكثر قصداً، فأرجع الى مصرنا فلنستعد بأحسن عدتنا»⁽²⁾. فرجع بهم الخليفة علي الى معسكرهم بالنخيلة⁽³⁾ خارج الكوفة وامرهم أن يلزموا المعسكر حتى لا يفتر حماسهم في التأهب للمسير الى الشام فطلب منهم تقليل زيارة اهاليهم حتى يكونوا على استعداد لمواجهة عدوهم. فأقاموا فيه اياماً ثم ما لبثوا حتى اخذوا يتسللون من معسكرهم ويدخلون الكوفة حتى خلا منهم⁽⁴⁾ فتركهم الخليفة علي (رضي الله عنه) اياماً لعلهم ينهضون مجدداً للحرب ولكن عندما ايس منهم وابقن من قعودهم عن القتال دعا رؤساءهم وجوهم وقال لهم «يا عباد الله ما لكم أن امرتكم ان تنفروا اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 48 - 49، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت 826هـ/ 1418م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د. ت) 13/222.

(2) الطبري: تاريخ 89/5، ابن الطقطقي: الفخري ص 70.

(3) النخيلة: موضع قرب الكوفة، ياقوت الحموي: معجم البلدان 5/ 278.

(4) ابن الطقطقي: الفخري، ص 70.

الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز! أو كلما ندبتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم قاسية... تنتفض اطرافكم فلا تتحاشون ولا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون... ثم قال ان لي عليكم حقاً وان لكم علي حقاً فأما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فينكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلون وتأديبكم كي تعلموا اما عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في المغيب، والمشهد والاجابة حين ادعوكم والطاعة حتى امركم⁽¹⁾.

هكذا كان موقف انصار الخليفة فبعد انتصاره في النهروان تقاعسوا عن القتال وطابت لهم الاقامة في الكوفة وافر حماسهم للخروج الى الشام فتناسوا اعداءهم فلم يبالوا بما حدث من حيث ضعف مركز امامهم او حتى اعتلاء شأن معاوية بن ابي سفيان في الامصار الاسلامية فتخاذلوا مع انه كان في مقدورهم وبكثرتهم هذا اعلاء شأن امامهم والتغلب على اعدائهم في الشام، في الوقت الذي كان اصحاب معاوية تحت طوع ارادته فاذا دعاهم اجابوه من دون كلل او ملل، ويتجلى لنا ذلك في مدى تعاونهم واخلاصهم له، وهذا مما ساعده على توطيد سلطانه في بلاد الشام ويؤكد ذلك الثعالبي بقوله «كان معاوية في اطوع جند واصلحه وكان علي في اعصى جند واخسه»⁽²⁾.

الا أن حملات معاوية على مدن أمير المؤمنين والاضطرابات التي تعرضت لها امصاره جعلته يحاول مجدداً حمل اصحابه بالنهوض معه لقتال جند الشام مخاطباً اياهم: «اما ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد افتتح فمالكم تؤفكون

(1) الطبري: تاريخ 90/5 - 91، ابن الاثير: الكامل، 3/224 - 225، سرور: الحياة السياسية ص 86-87.

(2) ابو المنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت429هـ/1037م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار المعارف، 1965)، ص 546.

الا أن القوم قد اجتمعوا وجددوا وتناصحوا انكم تفرقتم واختلقتم وتفاششتم... وختم امير المؤمنين رسالته يحثهم فيها على القتال ومحاربة اعدائه في بلاد الشام قائلاً «وانهضوا لنهوضي وقارعوا من قارعت ولئن عصيتُموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا»⁽¹⁾. فكانت خطبته هذه قد اثارت الحماس في نفوس اصحابه، فسارعوا الى استجابة دعوته فبايعه اربعون الفاً من اهل العراق على الموت⁽²⁾.

وبينما كان امير المؤمنين يستعد للمسير بهذا الجيش نحو بلاد الشام دهمه احد الخوارج فطعنه في مسجد الكوفة واستشهد في رمضان سنة 40هـ/ 660م⁽³⁾.

خامساً: استشهاد الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)

كانت وقعة النهروان قد اثارت حقد الخوارج تجاه امير المؤمنين الذي قتل فيها عدداً كبيراً منهم وكانوا كلما اجتمعوا يتحدثون فيما بينهم عن يوم النهروان ويتألمون غضباً لآخوانهم لذا فقرروا الانتقام من امير المؤمنين وقتله. اذ كانوا يعتقدون أن مقتلهم سوف يزيل من طريقهم اكبر خطر يهددهم وعندها يستطيعون بث دعوتهم ونشر مبادئهم وقتل كل من يخالفهم من المسلمين... بعد وقعة النهروان لم يكن بإمكانهم الدعوة لأنفسهم مجدداً، لأن تطرفهم وسلوكهم ترك اثراً سيئاً في نفوس الناس، فزادت شكواهم واخذوا يتهمونهم بالقتل والبطش بل راحوا ينفرونهم ويكفرونهم ويعدونهم من الكافرين.

وقد اشرنا آنفاً الى أن امير المؤمنين علي لم يقض على الخوارج بشكل نهائي بل بقيت فئات منتشرة في الامصار وكان لا بد لهذه الفئات أن تتجمع بين الحين والآخر

(1) الامامة والسياسة: 1/ 136.

(2) ابن الاثير: الكامل 3/ 286.

(3) الطبري: تاريخ، 5/ 143، المسعودي: مروج الذهب، 2/ 423.

بشكل سري، تكسب حولها الانصار ليتدارسوا اوضاعهم وخططهم المقبلة. فذكر صاحب الامامة والسياسة انه بينما كان نفر من الخوارج يشهدون موسم الحج سنة 39هـ/659م ومن بينهم عبد الرحمن بن ملجم والربك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي، فلما انقضى الموسم تذاكر هؤلاء امر المسلمين⁽¹⁾ فعابوهم، وعابوا ولاتهم، ثم تذاكروا اهل النهروان فترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض «فلو انا قد شربنا انفسهم لله، فأتينا ائمة، والتمسنا قتلهم، فارحنا منهم العباد والبلاد، وثأرنا لإخواننا الشهداء بالنهروان فتقاعدوا على ذلك بعد انقضاء الحج»⁽²⁾. فقال عبد الرحمن بن ملجم انا اكفيكم علياً، وقال البرك انا اكفيكم معاوية بن ابي سفيان، وقال عمرو بن بكر، انا اكفيكم عمرو بن العاص⁽³⁾ وكان امير المؤمنين علي يقيم بالكوفة ومعاوية بدمشق وعمرو بن العاص يحكم مصر بأمر معاوية واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل فسار كل منهم في طريقه⁽⁴⁾ فتوجه عبد الرحمن بن ملجم الى الكوفة ومضى صاحبه الى مصر والشام، وحينما وصل ابن ملجم الى الكوفة، التقى بامرأة تدعى قطام وكانت ترى رأي الخوارج، وقد حقدت على امير المؤمنين عندما قتل اباها واخاها وعمها يوم النهروان، وعندما أراد ابن ملجم الزواج منها اشترطت أن يكون مهرها قتل امير المؤمنين، فذكر لها بأنه لم يأت الى الكوفة إلا لقتله⁽⁵⁾ فأقام ابن ملجم يتربص خروج الخليفة علي (رضي الله عنه) وحتى تمكن منه في اثناء الصلاة فضربه

(1) الامامة والسياسة، 1/ 137.

(2) ابو الفرج علي عبد الحسين بن محمد الاصفهاني (ت356هـ/966م): مقاتل الطالبين، تحقيق السيد احمد صقر، (القاهرة، دار احياء الكتب، 1946) ص 23.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 144، المسعودي: مروج الذهب، 2/ 4743، الذهبي: تاريخ الاسلام 1/ 607.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 144، ابن الطقطقي: الفخري، ص 75، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/ 189.

(5) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 227 - 228، الطبري: تاريخ 5/ 144، ابن الطقطقي: الفخري، ص 75.

بسيفه على رأسه، وعندما حمل الخليفة الى منزله وبذلك يقول الشاعر⁽¹⁾:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح واعجم
ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر اغلى من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

فقبض الناس على ابن ملجم ولما توفي الخليفة علي في 17/ رمضان لسنة 40هـ/660م اخذ ابن ملجم فقطعت اطرافه واذناه وانفه وسملت عيناه ثم قتل بعد ذلك⁽²⁾ اما الخارجيان اللذان توليا مهمة قتل معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص فقد اخفقا في مهمتهما مما ادى الى قتلهما في النهاية⁽³⁾.

ومما لا شك فيه أن الخوارج كانوا اخطر الاعداء الذين واجههم الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) في حياته، ولم تكن خطورتهم في كثرة عددهم اذ كانوا لا يمثلون الا نسبة قليلة امام جيوش الخلافة وجيش معاوية. لكن يعزى خطرهم في مفاجئتهم للإمام علي وهم اصحابه المقربون والذين وقفوا معه وساندوه في وقعة الجمل ووقعة صفين، فضلاً عن ذلك ان خروجهم كان في اصعب الظروف التي مرت بها الخلافة فبعد وقعة صفين اعتقد الكثير من المسلمين أن السلام والامان سوف يخيم على العالم الاسلامي، بعد أن قضى مدة صعبة تتخللها الفتن والحروب، لكن شئت الاقدار بأن يكون الأمر عكس ما توقعوه.

سادساً: خلافة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) وموقف الخوارج منه:

(1) الطبري: تاريخ 5/ 145.

(2) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 228 – 229.

(3) الامامة والسياسة: 1/ 129، الطبري: تاريخ 5/ 149، ابن الطقطقي: الفخري، ص 75.

بعد استشهاد الخليفة علي بن ابي طالب ببيع الامام الحسن بن علي (عليه السلام) بالخلافة سنة 40هـ/660م⁽¹⁾ فبايعه قيس بن سعد بن عبادة وتبعه سائر الناس، ولما تمت البيعة اشترط عليهم ان يسمعوا ويطيعوا ويسالموا من يسالم، ويحاربون من يحارب فأرتاب اهل العراق من امره وقالوا: «ما يريد هذا القتال»⁽²⁾. فذهبوا الى الامام الحسين (عليه السلام) ولكنه ابى أن يبايعه القوم في حياة اخيه⁽³⁾.

اما معاوية فقد بوع بالخلافة في بلاد الشام في مسجد ايليا في السنة نفسها⁽⁴⁾. وحينما سمع بوفاة الخليفة علي (رضي الله عنه) اقبل الى العراق بجيوش كثيفة في مقدمتها عبد الله بن عامر بن كريز، فاستولى على عين التمر ثم الانبار وتوجه في طريقه الى المدائن فلما بلغ ذلك الامام الحسن في الكوفة خرج في اثني عشر ألفاً يقودهم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، متجهاً الى المدائن، ولما وصل الى ساباط رأى في اصحابه تناعساً عن الحرب⁽⁵⁾ وهنا اختلف المؤرخون في ذكر السبب. فذكر بعضهم أن هناك من نادى في معسكر الحسن ان قيس بن سعد قد قتل فاضطربت قواته وتزعزعت تنظيماته فاضطر الامام الحسن أن يصالح معاوية⁽⁶⁾ في حين ذكر

(1) الطبري: تاريخ 5/ 185، ابن الاثير: الكامل 3/ 267، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية 7/ 14.
(2) ابو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت277هـ/890م): المعرفة والتاريخ، تحقيق اكرم ضياء العمري، ط2 (بيروت، مؤسسة الرسالة 1981) 3/ 318، الطبري: تاريخ 5/ 162، ابن الاثير: الكامل 3/ 267.

(3) الامامة والسياسة، 1/ 140.
(4) الطبري: تاريخ 5/ 161، ابو الفرج غريغوريوس بن ابراهيم الطيب الملقب بالمعروف بابن العبري (ت685هـ/1286م) تاريخ مختصر الدول، ط2 (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1958) ص108، فيليب حتي: تاريخ العرب، ترجمة: محمد نافع مبروك، (بغداد، مطبعة النقيض، 1946) 3/ 4.

(5) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص230.
(6) الطبري: تاريخ 5/ 159، ابن الاثير: الكامل 3/ 217، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية 7/ 14.

اليعقوبي⁽¹⁾ عن محاولة معاوية لكسب قيس بن سعد الى جانبه مقابل مبلغ من المال، ولكن عندما رفض مهادنته ارسل الى معسكره من يقول ان الامام الحسن قد صالح معاوية، ثم دس في معسكر الحسن من يقول أن قيس بن سعد قد صالح معاوية، فكان من النتيجة الحتمية أن ينفروا اصحاب الامام الحسن حالما سمعوا بذلك.

الا ان ابا حنيفة الدينوري ينفرد برواية فحواها، أن هناك في معسكر الخليفة الحسن (عليه السلام) جماعة ترى رأي الخوارج ولما سمعوا الخليفة الحسن مخاطباً الناس بعدم رغبته في الحرب، ورغبته في اعادة وحدة صف المسلمين. تعالت اصواتهم قائلين «كفر الحسن كما كفر ابوه من قبل»⁽²⁾ فهاجموه وانتزعوا مصلاه من تحته ونهبوا متاعه بل ذهب احدهم وهو الجراح بن سنان الاسدي الى طعنه في فخذه، فحملوا الخليفة الحسن (عليه السلام) الى المدائن فنزل القصر الابيض وعولج حتى برا⁽³⁾ وان صحت هذه الرواية فهذا يعني ان للخوارج ضلعاً في الاضطرابات التي اصابته معسكر الامام الحسن والتي أدت الى هذه النتيجة، التي لا تبعد كثيراً عن النتيجة التي وصل اليها الخليفة علي مع الخوارج انفسهم وأياً كان السبب الذي ذكره المؤرخون فإن الوضع كله يؤدي الى امر واحد ينتهي بتنازل الخليفة الحسن عن الخلافة لمعاوية، بعد أن رأى تفرق القوم عنه، فبعث الى معاوية وكان قد وافى الانبار، يتنازل له عن الخلافة مقابل شروط اشترط فيها أن يعطيه معاوية ما في بيت مال الكوفة وقدره خمسة آلاف درهم⁽⁴⁾ وأن يحمل الى الامام الحسين (عليه السلام)

(1) تاريخ 2/ 204.

(2) الاخبار الطوال، ص 230.

(3) اليعقوبي: تاريخ 2/ 205، الطبري: تاريخ 5/ 159، ابن الاثير: الكامل 3/ 271، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية 7/ 14.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 159، ابن الاثير: 3/ 272، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 7/ 14، روم لاندو: الاسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، ط2 (بيروت، دار العلم للملايين، 1977)

كل عام مليونين درهم⁽¹⁾ زان يترك خراج دارابجرد⁽²⁾ في فارس، وأن لا يسء الى الخليفة علي على المنابر، فأجابه معاوية لشروطه، وختمه بخاتمة، واشهد على ذلك جميع رؤساء اهل الشام⁽³⁾ الا أن معاوية اخل بالشرطين الاخرين فقد رفض اهل البصرة عن اعطاءه خراج فارس، واما الكف عن الاساءة للخليفة علي فلم يف به ايضاً⁽⁴⁾ ويضيف صاحب (الامامة والسياسة) أن الحسن اصطاح على أن لمعاوية الامامة ما دام حيا فاذا انتهى اجله فالامر للحسن⁽⁵⁾. الا أن هذا الأمر لم يتحقق ايضاً فسرعان ما توفي الخليفة الحسن (عليه السلام) سنة 49هـ/669م لذا الخلافة في البيت الاموي⁽⁶⁾.

وعندما جرى الصلح بينهما، توجه الخليفة الحسن (عليه السلام) من المدائن الى الكوفة، ووفاة معاوية بها، فالتقيا وهناك تم تنازل الخليفة عن الخلافة لمعاوية في 25/ ربيع الاول سنة 41هـ/660م، وبعدها توجه الخليفة الحسن مع اهل بيته الى مدينة الرسول (ص)⁽⁷⁾ اما معاوية فقد دخل الكوفة واخذ بيعة اهل العراق ثم

ص64.

- (1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص231، محمد كرد علي: خطط الشام، ط2 (بيروت، دار العلم للملايين، 1977) ص64.
- (2) دارابجرد: وهي كورة مشهورة في بلاد فارس، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت741هـ/1340م): المشترك وضعاً والمفترق صفحاً (القاهرة، مؤسسة الخانجي، د.ت) ص167.
- (3) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص231، الطبري: تاريخ، 5/160، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 7/14.
- (4) الطبري: تاريخ 5/165، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/192.
- (5) الامامة والسياسة، 1/140.
- (6) اليعقوبي: تاريخ، 2/213.
- (7) محمد بن علي بن محمد المعروف بأبن العمراني (ت580هـ/1154م) الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي (لندن، 1973)، ص48، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم المعروف بأبن شداد (ت684هـ/1285م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة،

سار بعد ذلك الى دمشق، بعد أن عين المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، فسمى عام 41هـ/ 660م (عام الجماعة) لأجتماع الأمة على خليفة واحد⁽¹⁾.

واخيراً يمكن القول أن الخليفة الحسن (عليه السلام) لم يكن اوفر حظاً من ابيه الخليفة علي (رضي الله عنه) فلقد نعته الخوارج الذين كانوا في صفوف جيشه بالكفر والضعف لتنازله عن الامامة، لشخص يعد بنظرهم فاسقاً بل لم يتورعوا عن محاولة قتله كما فعلوا بأبيه فأثاروا الفتنة داخل معسكره وتقاعسوا عن نصرته ونهبوا سراحه فأدت هذه العوامل مجتمعة الى تنازل الخليفة الحسن (عليه السلام) عن الخلافة وارتحاله الى المدينة مستقراً بها الى أن توفي سنة 49هـ/ 669م⁽²⁾ وبهذا تحققت اطماع معاوية حتى استقرت له الخلافة واصبح صاحب السلطان المطلق في كافة الولايات الاسلامية. اما الخوارج فلم يكونوا راضين عن الوضع الذي آلت اليه الخلافة الاسلامية، فراحوا يترقبون الاحداث عن كثب ويستغلون الفرص للتعبير عن سخطهم ورفضهم فزادت قوتهم وسارعوا في تنظيم صفوفهم والاستعداد للصراع المقبل والطويل مع الخلافة الاموية بدءاً من عهد معاوية بن ابي سفيان والخلفاء من بعده.

تحقيق يحيى عبارة (دمشق 1978) جـ3/ ق1/ ص11، مؤلف مجهول من القرن الحادي عشر تاريخ الخلفاء قام بنشر المخطوطة بطرس غرياز نيويج (موسكو، دار النشر للآداب الشرقية 1967) ص121.

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص232، البافعي: مرآة الجنان 1/ 118.

(2) ابن الاثير: الكامل 3/ 315، الذهبي: تاريخ الاسلام، 2/ 19.

الفصل الثالث

مبادئ الخوارج

- 1 - تسميات الخوارج
- 2 - آراء الخوارج الدينية والسياسية
- (1) آراء الخوارج الدينية
 - أ - العمل جزء من الايمان
 - ب - مرتكب الكبيرة مخلد في النار
 - ج - تكفير السلطان الجائر والخروج عليه
 - د - الاستعراض
- (2) آراء الخوارج السياسية
 - أ - الخلافة أو الامامة
 - 1 - الانتخاب الحر المباشر
 - 2 - وجوب الامامة
 - 3 - امامة المرأة
 - ب - المساواة في المجتمع الخارجي
- 3 - فرق الخوارج وعقائدهم الخاصة
 - أ - الازارقة

ب - الصفريّة

ج - النجدات

د - الاباضية

أولاً: تسميات الخوارج

يجد الباحث في تاريخ الخوارج وعقائدهم أن المؤرخين ومؤلفي كتب الفرق ينعتوهم بنعوت عدة أصبح بعضها (علماً) عليهم وفيما يأتي عرض للأسماء والنعوت والالقب المثبتة في كتب التاريخ والأدب وكتب الفرق مع شرح لدلالاتها اللغوية والدينية والسياسية.

1 - الخوارج:

أكثر الاسماء شيوعاً في وصف الخوارج وعقائدهم، والخوارج جمع خارجة والدلالة اللغوية للفظه (خارجة) و(خارج) و(خارجي) تدور حول معنى: برز من محله أو حاله وانفصل وخرج على السلطان والناس وتمرد وثار⁽¹⁾ ومن ثم من الفاظ (خارج) و(خارجي) و(خارجة) كانت تطلق على كل من خرج على الناس أو السلطان، سواء أكان من (الخوارج) الفرقة المعروفة موضوع البحث أم من سواهم⁽²⁾. ولخروج هذه الطائفة على الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أطلق المسلمون عليهم اسم الخوارج وبمرور الزمن أصبحت اللفظة اصطلاحاً أو علماً على... الطائفة الذين نزعوا أيديهم بين طاعة ذو السلطان من الائمة⁽³⁾ أو الامام

(1) مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي (ت817هـ/1414م) القاموس المحيط، (بيروت، دار الفكر، 1978)، 1/ 184، إبراهيم انيس وآخرون: المعجم الوسيط، ط2 (القاهرة، دار العارف، 1973) 1/ 224.

(2) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت548هـ/1153م): الملل والنحل، ط1 (القاهرة، المطبعة الادبية 1317هـ) 1/ 155.

(3) أبو محمد عثمان عبد الله بن الحسن العراقي الحنفي (ت500هـ/1106م)، الفرق المتفرقة بين

الحق الذي اتفقت الجماعة عليه فهذا المصلح كما هو واضح ذو دلالة سلبية إذ يصف (الخوارج) (الفرقة المعروفة) بمفارقة السلطة الشرعية أو الامام الحق.

ومن مراجعة المصادر المختصة نجدها تعلق هذه التسمية بأنهم سموا الخوارج:

• لخروجهم على الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه).

• أو لخروجهم الى المدائن.

• أو لمفارقتهم الجماعة.

• أو لخروجهم عن الدين.

أو لخروجهم عن الحق⁽¹⁾.

اذن مصدر هذه التسمية هم اعداء الخوارج من سائر المسلمين غير أن الخوارج لشيوع هذه التسمية واتفاق الجميع عليها حاولوا أن يتقبلوها، ولكن بدلالة ايجابية جيدة، ولم يعودوا يتفكرون للتسمية في الماضي، اما تفسيرهم للفظه لكي يقبلوها علماء عليهم، فيستند الى ادعائهم انهم خرجوا في سبيل الله طلباً للحق، ومفارقة الاثمة الجور، اعتماداً على الآية الكريمة «ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله»⁽²⁾ وهذا التفسير يدل على انهم بدأوا يفخرون بخروجهم على السلطان الجائر في تصورهم، وعلى امامة غير مشروعة⁽³⁾.

اهل الزينج والزندقة، تحقيق: بشار قوتلو آي (انقرة، 1961) ص 11.

(1) انظر هذه التفسيرات بحسب تنابعها، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق الاشعري (ت324هـ/935م): مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هـ ريتز (استانبول، مطبعة الدولة، 1929)، 1/ 127 - 128، عرفان عبد الحميد فتاح: دراسات الفرق الاسلامية، ط1 (بغداد، مطبعة الارشاد، 1967)، ص 48، جهاد تقي صالح، مسائل سياسية في الفكر السياسي للخوارج، مجلة العلوم السياسية (بغداد) عدد 7 لسنة 1990، ص 36.

(2) سورة النساء اية 100.

(3) الطبري: تاريخ 471/5، ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد المدائني

ومما يؤكد اعتزازهم بهذه التسمية بعد أن منحوها هذه الدلالة الايجابية قول شاعرهم عيسى بن فاتك التميمي⁽¹⁾:

ألفاً مؤمن فيما زعمتم وبقتلهم بأسك اربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا

وبهذا المعنى الجديد الذي يفخر به الخوارج مقابل الدلالة التي يقصدها سائر المسلمين من تسميتهم خوارج، يكون الخوارج قد وصفوا خروجهم بأنه هجرة كهجرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بل كان احد زعمائهم عبد ربه الصغير المتوفى سنة 77هـ يخاطب اصحابه بـ «يا معشر المهاجرين»⁽²⁾ ولا بد من أن يذكر في هذا السياق أن هذا المصطلح (الخوارج) هو العلم على هذه الفرقة ولذلك فهو اكثر شيوعاً من سواه في المصادر.

2 - الشراة:

ويأتي مصطلح الشراة وصفاً للخوارج أو علماً عليهم بعد لفظة الخوارج أي انه يشيع في المصادر بكثرة لا تبلغ مستوى المصطلح الاول. ولفظة الشراة مأخوذة لغوياً من شرى يشري بمعنى باع يبيع⁽³⁾. والدلالة الاصطلاحية للفظ تدور حول المعنى الذي يقصده الخوارج من انهم باعوا انفسهم لله بضمن هو الجنة لأنهم جاهدوا في سبيل الله حين رفضوا قبول التحكيم ورفضوا بعد ذلك حكم ائمة الجور حسب

(ت656هـ/1258م): شرح نهج البلاغة، (بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت) 2/ 149.

(1) الطبري: تاريخ 5/ 314، ابن الاثير: الكامل 3/ 361.

(2) ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر النحوي المعروف بالمرصد (ت285هـ/898م): الكامل في اللغة والادب، تحقيق: تفاريد بيضون، نعيم زرزور (بيروت، دار الكتب العلمية، 1989) 2/ 305.

(3) وقيل أن الشراة مأخوذة من الفعل (شرى) بمعنى غضب، فيروز آبادي: القاموس المحيط 4/ 348.

اعتقادهم، وذلك اخذاً من قوله تعالى «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»⁽¹⁾ وآية أخرى اعتمدوا عليها «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله»⁽²⁾.

ومعنى ذلك أن هذا المصطلح هو من ارتجال الخوارج انفسهم وليس من اعدائهم من سائر المسلمين كالمصطلح الاول على الرغم من ان هؤلاء الآخرين يستعملون كما تقدم المصطلح بكثرة وصفاً للخوارج من دون تحرج، واحياناً قليلة بمعنى مدحهم بالشجاعة كما يجري دائماً على العامة من غير الخوارج، بحيث اصبحت شجاعة الخوارج عندهم مضرب للمثل كما يتضح من قول الشاعر⁽³⁾.

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشاري
ونجدهم يفخرون بمصطلح (الشراة) في اسفارهم وخطبهم، ويقول الشاعر
الخارجي شيبان بن سلمة⁽⁴⁾:

نحن الشراة لا شراة غزة ولا شراة الكوفة المبتزة
ويقول شاعرهم معاذ بن جوين بن حصين الطائي⁽⁵⁾:

الا أيها الشارون قد حان لأمرئ شرى نفسه لله ان يترحلا
ومن ملاحظة النماذج الشعرية نجد أن الخوارج يستعملون لفظة (شاري) وجمعها

(1) سورة البقرة، آية 207.

(2) سورة التوبة، آية 111.

(3) ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت 255هـ / 868م): رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1964)، 1/ 44.

(4) مؤلف مجهول: العيون والحدائق في اخبار الحقائق، «من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم» (بغداد، مكتبة المثنى، د. ت 3/ 161، احسان عباس: ديوان شعر الخوارج، ط 4 بيروت، دار الشروق، 1982) ص 242.

(5) الطبري: تاريخ 5/ 178.

(شراة) و(شارون) والفعل شرى يشري اعتزازاً وتوكيداً على انهم اختاروها من الآية الكريمة. ومن الباحثين من بين دلالة لفظة خوارج التي تعني عموم الخوارج وبين (الشراة) التي تعني مجموعة من الخوارج اعتماداً على التصنيف الاباضي المتأخر نسبياً الذي يصنف مراحل الخوارج أو مسالك (بحسب تعبيرهم) المذهب الاباضي بأنها اربعة (الشراء، الظهور، الدفاع، والكتمان) والشراء يعني الثورة الواجبة حين يكون الخوارج في دار السلطان الجائر (سلطة غير الخوارج) وعددهم اربعون اذا يجب في هذه الحالة على هؤلاء الاربعين أو اكثر أن يخرجوا (يثوروا) ولا تحق لهم العودة الى المدينة الا اذا قل عددهم عن ثلاثة⁽¹⁾ ولكن قراءة الشعر الخارجي المتقدم في القرن الاول الهجري يظهر أن استعمال الشراة يوحي بأنهم (أي الشراة) مجموعة خاصة متحمسة، يقول الشاعر عطية بن سمره الليثي⁽²⁾:

| | |
|----------------------------|-----------------------|
| وحسبي من الدنيا دلاص حصينه | ومغفرها يوم وصدر قناة |
| واجرد محبوبك السراة مقلص | شديد اعاليه وعشر شراة |
| فابلغ منه حاجتي وبصيرتي | واشفى من ولالة طغاة |

3 - المحكمة:

ارجئ ترتيب هذا المصطلح بعد الخوارج والشراة لفرقة من فرقهم لأنه اقل دوراناً

(1) علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ط1 (القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، 1964) 93 / 1 - 95، عوض محمد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا في مرحلة الكتمان ط1 (عمان 1982) ص 109 - 112، محمد عمارة: المعتزلة والثورة، ط2 (بغداد، المكتبة العالمية، 1984) ص 38، موتلنسكي: الاباضية، ترجمة احمد الشتاوي وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية (بيروت، دار الفكر، د. ت) 1 / 11.

(2) ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المزرباني (ت378هـ/ 988م): نعجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه 1960) ص 158.

في كتب التاريخ والفرق، وعلى الرغم من ان البغدادي يذكره بصفته علماً لفرقة من فرقهم أولاً حين يعدد اسماء لفرق الخوارج⁽¹⁾. وعادةً ما كان يطلق على الخوارج الاوائل الذين ظهروا بعد وقعة صفين وفي اثائها. وواضح أن لفظة المحكمة مشتقة من الفعل (حكم) لأنهم رفضوا التحكيم اذا قالوا قولتهم المشهورة «لا حكم الا لله»⁽²⁾.

وعلى الرغم من ان هذا التعبير وصف للخوارج الاولين الا اننا نجد من المؤرخين واصحاب كتب الفرق من يصف الخوارج المتأخرين حتى بعد وفاة الامام علي (رضي الله عنه) أو خلال العصر الاموي بالمحكمة وذلك لأن الخوارج انفسهم كانوا يطلقون على انفسهم احياناً المحكمة ثم ان الخوارج الذين كانوا يثورون في داخل المدن الاسلامية كان احدهم يذهب الى المسجد أو السوق ويحكم اذ يصبح «لا حكم الا لله» ويبدأ بضرب المسلمين أو المصلين ويقول عنه اصحابه: انه حكم فهو محكم والجميع محكمة. فقد ذكر في انساب الاشراف «أن الزبير بن علي انشد مرثيه فبكى وقال لأصحابه، السلام عليكم والله لا تأخر عن اخواني بعد يومي هذا الا مكرها، فخرج يوم الجمعة فحكم عند مسجد الحرورية في البصرة»⁽³⁾.

وكما جاء وتكرر هذا المصطلح حكم بمعنى ثار وخرج قائلاً «لا حكم الا لله»⁽⁴⁾ ومن هنا يتبين انه على الرغم من ان كلمة (المحكمة) تعد عند البعض الفرقة الاولى للخوارج بدليل انهم يسمونها احياناً المحكمة الاولى⁽⁵⁾ الا أن الخوارج يطلقون على انفسهم كما ذكرنا في العصر الاموي اسم المحكمة.

(1) الفرق بين الفرق، ص 45.

(2) الطبري: تاريخ 72/5، الشهرستاني: الملل والنحل 1/157.

(3) ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت 279هـ/ 892م) انساب الاشراف، مخطوطة برقم (398/1) استانبول، ورقة 598.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/160، الشهرستاني: الملل والنحل 1/157.

(5) البغدادي الفرق بين الفرق، ص 46.

4 - المارقة:

هناك من المؤرخين واصحاب الفرق من يصف الخوارج بأنهم مارقة ويلاحظ ان هذا (لقب) وليس اسماً لأن كثيراً من الخارجين عن الاسلام من غير الخوارج كانوا يوصفون بالمروق، اما تشديد المؤرخين المسلمين على تلقيب الخوارج بالمارقة فمرده الى ان اصحاب الفرق حين بحثوا في نشأة الخوارج ارجعوههم الى زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذكروا ان (اصلهم) ذو الخويصرة الذي اعترض على الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قسم الغنائم فغضب عليه اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)⁽¹⁾ فقال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعوه «انه سيخرج من ضضي هذا الرجل قوم يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية»⁽²⁾. واهل اللغة يفسرون المروق استناداً الى الحديث الشريف «أن السهم اذا اصاب الرمية وخرج الى الجانب الآخر لحدته نصله»⁽³⁾ فوصفهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بأنهم يمرقون كما يمرق السهم. افاد المؤرخون واصحاب كتب الفرق منه لقباً لهذه الفئة وهو عندهم اصدق وصف للخوارج واكثر تعبيراً عن واقع حالهم⁽⁴⁾ فهو ذو دلالة سلبية مطلقة لا يمكن للخوارج أن يعللوها لذلك فهم ينكرون هذا اللقب لأنه شديد الايلام لأنفسهم وابعضها اليهم⁽⁵⁾.

- (1) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/ 161، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 157.
- (2) احمد بن محمد بن حنبل (ت 322هـ/ 934م) المسند (بيروت، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، د. ت) م 3/ 52.
- (3) ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري (ت 321هـ/ 933م): جمهرة اللغة، ط 1 (حيدر اباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1345هـ) 2/ 406، ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور (ت 711هـ/ 1287م): لسان العرب (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د. ت) 12/ 217.
- (4) معروف: الخوارج ص 190.
- (5) الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 127.

5 - أسماء أخرى للخوارج:

كما يسمى الخوارج الأول الراسبية نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي، اول امير للخوارج، وقد قُتل في وقعة النهروان، وواضح أن هذا الاسم ليس عاماً وانما يمكن اطلاقه على هؤلاء الذين بايعوا عبد الله بن وهب في حينه فهو لا يملك صفة العموم⁽¹⁾ وللسبب نفسه سماهم البعض (الوهبية) نسبة الى عبد الله بن وهب⁽²⁾.

ومن الاسماء الاخرى الحرورية نسبة الى حروراء القرية التي تجمع فيها المنشقون الاوائل على الامام علي (رضي الله عنه) بعد عودته من صفين وخروجهم عليه وواضح ايضاً أن هذا الاسم يشمل الذين تجمعوا في حروراء فهو لا يملك صفة العموم أي انه ليس علماً على الخوارج عامة⁽³⁾. ومن الالقاب التي اطلقت على نطاق ضيق على الخوارج لقب النواصب الذي وصفهم به المقرئ معللاً ذلك بأنهم ناصبوا الخليفة علياً (رضي الله عنه) عند العداء وتبرأوا منه ولا شك في ان هذا لقب وليس علماً⁽⁴⁾.

ثانياً: آراء الخوارج الدينية والسياسية:

أن نشأة الخوارج - كما رأينا - كانت سياسية دينية من حيث كونها متصلة بمسألة شرعية الخلافة في البدء، الا ان الواقع العملي للخوارج بعدهم ثواراً ضد الامام علي (رضي الله عنه) وضد الحكم الاموي وضد الخلافة الاموية، ولأنهم يدعون الى

(1) المقدسي: البدء والتاريخ 5/136.

(2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص46، الشهرستاني: الملل والنحل 1/159.

(3) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص46، عبد الله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية (دار واسط للنشر، د.ت) ص279.

(4) تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد الفادر المقرئ (ت845هـ/1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية (بغداد، مكتبة المثنى، 1970) 354/2.

اقامة دولة على وفق آرائهم ومعتقداتهم الخاصة جعل لهم طابعاً سياسياً حاولوا أن يقيموه على اسس دينية. وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين ما هو ديني وسياسي في حياة الخوارج السياسية الدينية الا انه بعد التدقيق يمكن فرز ما هو اقرب الى السياسة من مبادئهم وما هو اقرب الى العقيدة الدينية والممارسة الشرعية في هذه العقائد وعليه فأن البحث سيتعرض فيما سيأتي الى عقائدهم الدينية ومبادئهم السياسية كلاً على حدة مع الاشارة الى الربط بينهما.

ثالثاً: آراء الخوارج الدينية:

أ - العمل جزء من الايمان:

اهم آراء الخوارج الدينية عدهم العمل جزءاً من الايمان⁽¹⁾ ويعد هذا المبدأ اساساً لسلوكهم في الحياة ومنطلقاً لآرائهم الدينية الاخرى، ويتميز هذا المبدأ بإجماع الفرق كلها عليه⁽²⁾. وهو مصدر تمسكهم بعقائدهم لذلك نجد كتب الأدب والتاريخ تزخر بالأمثلة على شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالموت في سبيل عقيدتهم، اذ يقول المبرد وليس في الفرق كلها اشد بصائر من الخوارج ولا اكثر اجتهاداً ولا اوطن انفساً على الموت، فمنهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى الى قاتله⁽³⁾ ويتلو قوله تعالى: «وعجلت إليك رب لترضى»⁽⁴⁾ ومما يدل على شجاعتهم واستماتتهم في سبيل عقيدتهم قصة ذلك الخارجي الذي ضربه الامام علي (رضي الله عنه) بسيفه

(1) الشهرستاني: الملل والنحل، ص 154، الاشعري: مقالات الاسلاميين، 1/ 124.

(2) الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 124، عزمي محمد شفيق الصالحي: الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم الطائي، ط 1 (بغداد، مطبعة الاقتصاد، 1971) ص 44.

(3) الكامل في اللغة والادب 2/ 181، ابن ابي حديد: شرح البلاغة 1/ 252.

(4) سورة طه آية 84.

فقتله فلما خالطه سيف صاح «يا حبذا الروحة الى الجنة»⁽¹⁾.

أن عد الخوارج الايمان تصديقاً وقولاً وعملاً⁽²⁾، دفعهم لتكفير بقية المسلمين الذين لا يعدون العمل من اركان الايمان اذ ينظرون الى بعض اعمال سائر المسلمين من الصغائر والكبائر على انها تنفي اسلامهم. وهكذا جعلتهم هذه النظرة في اشتراط العمل الصالح لإتمام الايمان يتبرأون من الكاذب ومقترف المعصية سواء أكان من اتباعهم ام من سائر المسلمين⁽³⁾.

ب - مرتكب الكبيرة مخلد في النار:

اجمع مؤرخو الخوارج على وصفهم بالتقي والصلاح والابتعاد عن المعاصي والذنوب والكبائر، ويقر لهم حتى أعدائهم من سائر المسلمين بهذه المزايا فقد وصفهم عبد الله بن عباس للإمام علي (رضي الله عنه) حيث بعث لمفاوضتهم «امهم رأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيادي كثفنت الابل، وعليهم قمص مرحضه... وأن بين اعينهم لأثر السجود»⁽⁴⁾. وانطلاقاً من هذا التشدد والمبالغة فيه كفر الخوارج مرتكب الكبيرة⁽⁵⁾، بل أن الخوارج عدوا مرتكب الكبيرة مخلداً في النار⁽⁶⁾ بخلاف سائر المسلمين الذين لا يُكفرون المسلم بارتكاب المعصية التي لا تضر مع الايمان عند المرجئة والتي تجعل من المسلم فاسقاً عند اهل السنة ولكنها

(1) ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة 1/ 204.

(2) الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 49، محمد سلام مذكور: مناهج الاجتهاد (جامعة الكويت، 1973) 2/ 702.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 142.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/ 175، ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة، ص 216.

(5) ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 492هـ/ 1037م): كتاب اصول الدين، ط 1 (استانبول، مطبعة الدولة، 1928) ص 292، الأشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 124.

(6) الأشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 124، الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 155.

(أي معصية) لا تخرجه من الايمان⁽¹⁾ ومن الخوارج من يعد مرتكب الصغيرة كافراً⁽²⁾ اما نزاعات المهادنة والقيود والتخفيف من التشدد في مقاومة السلطة الاموية فقد برزت بعد انشقاقات الخوارج وتفرقهم الى فرق. على الرغم من وجود هذه النزاعات الهادئة وغير المتطرفة عند بعض الفرق كالأباضية والنجادات اصلاً.

ج - تكفير السلطان الجائر من (ائمة المسلمين) والخروج عليه:

يكفر الخوارج لاسيما ائمة سائر المسلمين ويعدونهم ائمة جور ويوجبون الخروج عليهم⁽³⁾ وقد انطلقوا في موقفهم هذا من الموقف الذي اتخذوه من الامام علي (رضي الله عنه) بعد قبول التحكيم بل انهم اخذوا يُقيمون حتى الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) فصحت عندهم خلافة ابي بكر وعمر بن الخطاب، ولم يرضوا عن خلافة عثمان في سنوات خلافته الست الاخيرة ولا عن الامام علي (رضي الله عنه) بعد ان حكم⁽⁴⁾.

وانطلاقاً من هذا الموقف عدّ الخوارج دار السلطان دار كفر ومن فيها كفاراً والاقامة فيها حراماً لذلك اوجبوا الهجرة منها او الخروج، وكفروا اتباعهم ممن لم يخرجوا على السلطان الجائر⁽⁵⁾. وظهر القعدة منهم ولا سيما النجديات والاباضية

(1) اما عند المعتزلة وهم متأخرون فمرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا هو بكافر ولا هو بمؤمن، الشهرستاني: الملل والنحل، 60/1، البغدادي: الفرق بين الفرق 68، 71.

(2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 70.

(3) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 45، الشهرستاني: الملل والنحل 1/157.

(4) الأشعري: مقالات الاسلاميين 1/125، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 45، 72، ابو لمظفر عماد الدين الاسفرائيني (ت 741هـ/ 1078م): التبصير في الدين وتميز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، تعليق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط 1 (مطبعة الانوار، 1940) ص 26، د. علي حسني الخربوطلي: ثورات في الاسلام، ط 2 (بيروت، دار الآداب، 1978) ص 59، حسن ابراهيم حسن: النظم الاسلامية، ط 2 (القاهرة، مكتبة النهضة، 1959) ص 8.

(5) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 50، الشهرستاني: الملل والنحل 1/158.

الذين اجازوا القعود والتعايش مع سائر المسلمين⁽¹⁾. ولكن حتى هؤلاء الذين يجيزون القعود انما كانوا يجيزونه بأعذار وضرورات شرعية كالمرض والهرم والاعباء الاجتماعية ويعترفون بأن الخروج افضل استناداً الى قوله تعالى «وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً»⁽²⁾ بل يعدونه ركناً من اركان الحرية الخارجية وبعضهم كان يعد مدة القعود هذه فرصة يتحينون فيها الاجواء المناسبة للخروج، وان القول بجواز القعود لا يعني افضليته واستمراء التشبث به وانما هي مدة يتحين فيها الخارجي القاعد الفرصة المناسبة للخروج⁽³⁾. والقعدة يؤمنون بضرورة القتال اذا ما تعرضوا لجور واضطهاد أو عدوان أو بدأوا بقتال⁽⁴⁾ وقد قادهم موقفهم من سلطان سائر المسلمين وعده جائراً ووجوب الخروج عليه الى عد كل المقيمين في دار هذا السلطان الجائر كفر، أي تكفير المجتمع الذي يرضى بأمرته اما مجتمعهم هم فهو (دار الهجرة او ارض السلام) لأن ارض (الحاكمين) ارض حرام ودار كفر⁽⁵⁾ بل ان تكفيرهم شمل معظم الصحابة الاحياء والصالحين وكذلك البراءة منهم⁽⁶⁾ وهذا منتهى التطرف، غير انه كان واضحاً جداً في اول نشأتهم والى زمن حصول الانشقاقات بينهم وظهور مواقف اقل تطرفاً.

د - الاستعراض:

يعني الاستعراض عند الخوارج امتحان سائر المسلمين بسؤالهم عن موقفهم

-
- (1) الأشعري: مقالات الاسلاميين، 1/ 104.
 - (2) سورة النساء، آية 95.
 - (3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 226.
 - (4) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 226 - 227، الاسفرائيني: التبصير، ص 29.
 - (5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 226.
 - (6) الأشعري: مقالات الاسلاميين، ص 125، احمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني، ط 3 (القاهرة، مطبعة السعادة، 1962) ص 168.

من التحكيم ومن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وسؤالهم عن جملة من المواقف فأن لم يعجبهم جوابهم قتلوههم، وقد ورد انهم قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب بن الارت وزوجته لأنهما لم يكفرا الخليفة علي (رضي الله عنه)⁽¹⁾.

وهناك آراء دينية للخوارج لا ينفردون بها، برزها بعض الباحثين كالوعد والوعيد⁽²⁾ والعدل والتوحيد اللذين برز فيهما المعتزلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يقول به جميع المسلمين، وأن كان الخوارج قد تشددوا به، وغير ذلك بما يشارك به الخوارج سائر المسلمين⁽³⁾.

رابعاً: آراء الخوارج السياسية:

أ - الخلافة او الامانة:

انفرد الخوارج بين سائر الفرق الاسلامية بجعل الخلافة حقاً لأكثر الناس في التقى والصلاح من دون اعتبار لجنس او قبيلة فالإمامة مشاعة بين سائر المسلمين ولتوضيح هذا الموقف يذكر أن جمهور المسلمين يجعل الخلافة في قريش عامة وعلى هذا جرى الخلفاء الراشدين إذ اختير الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) من قريش، واختار الخليفة ابو بكر بعد المشاورة مع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من قريش وجعلها الخليفة عمر شوري بين ستة كلهم من قريش فانتخبوا

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 46 - 47.

(2) الأشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 124، البغدادي: اصول الدين، ص 292، الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 55 - 56، يكير بن سعيد اعوشث: دراسات اسلامية في الاصول الاباضية، ط 2 (الجزائر، 1981) ص 70، هاشم معروف الحسني، الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة (بيروت، دار القلم، 1978) ص 10 وما بعدها.

(3) الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 54، ينظر بالتفصيل محمد عمارة: الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية، ط 1 (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977) ص 140.

ال خليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو اموي من قريش ثم بايع المسلمون بعد مقتل الخليفة عثمان الامام علي (رضي الله عنه) وهو من قريش ايضاً وعلى ذلك جرت سنة الامويين والعباسيين، اما الاحزاب والفرق الاسلامية البارزة، فقد جعلت الخلافة او الامامة في بيوت بعينها في قريش⁽¹⁾. فالعلويين يرونها في بني هاشم بل في سلالة الامام علي (رضي الله عنه) والزبيريون يرونها في آل الزبير انطلاقاً من قرباتهم، والامويون يرونها في بني أمية (استناداً الى حقهم الذي يدعونه بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) على وفق انهم اولياء دمه) وبشكل عام نرى جميع المسلمين عدا الخوارج متفقون على حصر الخلافة في قريش⁽²⁾ وهذا مخالف للخوارج الذين يجعلونها في المسلمين كافة، واحق المسلمين في الخلافة واو لا هم اكرمهم واتقاهم من غير اعتبار لجنس او قبيلة او بيت⁽³⁾، ولكن نلاحظ على الصعيد العلمي أن الخوارج بحكم طبيعتهم البدوية وكونهم اعراباً لم يولوا، أي لم ينتخبوا خليفة غير عربي.

1 - الانتخاب الحر المباشر:

يشترك الخوارج كلهم في عملية الاختيار اي يبايع جمهور الخوارج كلهم

- (1) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت45هـ/ 1058م): الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط1 (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده 1960) ص7، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي الظاهري (ت456هـ/ 1063م): الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط1 (القاهرة، مطبعة التمدن، 1321هـ) 4/ 163 - 164.
- (2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص15.
- (3) عبد الله بن محمد المعروف بالناشي الأكبر (ت293هـ/ 905م): مسائل الامامة، تحقيق يوسف فان اش (بيروت، معهد الالمانى للأبحاث الشرقية، 1971) ص68، البغدادي: اصول الدين، ص275، الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 158، عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية، ط1 (بغداد، مطبعة نجيب، 1950) 1/ 88.

الخلافة الخارجي⁽¹⁾ في حين تناط هذه عند الجمهور (عامة المسلمين) بأهل (الحل والعقد)⁽²⁾ وهم افاضل المسلمين، ومعنى ذلك أن انتخاب الخليفة او الامام يجري او يكون عند الخوارج على وفق ما يسمى بالانتخاب الحر المباشر في الوقت الحاضر. اما العلويين فتكون عملية تسمية الامام عندهم عن طريق النص والتعيين والوصية⁽³⁾ اي لا توجد عملية انتخاب او شورى.

2 - وجوب الامامة:

الامامة واجبة عند جمهور المسلمين والمعروف أن الخوارج ايضاً يعدون الامامة واجبة ودليل ذلك انتخابهم لعبد الله بن وهب الراسبي وانتخابهم لائمة الفرق الخارجية المعروفة ولكن تتداول كتب الفرق فكرة أن الخوارج يقولون بعدم (حاجة الأمة) الى امام او خليفة أي عدم وجوب الخلافة الا اذا مست الضرورة والحت الحاجة وقد جاءت هذه الفكرة في البداية وتداولها مؤرخو الخوارج واصحاب كتب الفرق بقول الاشعري «انهم يقولون انهم لا يحتاجون الى امام وانما عليهم أن يعلموا كتاب الله سبحانه فيما بينهم»⁽⁴⁾ ويذكر الشهرستاني «وجوزوا أن لا يكون في العالم امام اصلاً»⁽⁵⁾ ويقول ايضاً «واجتمعت النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فأن هم رأوا ان ذلك لا يتم الا بإمام يحملهم عليه

-
- (1) الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 154، صبحي صالح: النظم الاسلامية ونشأتها وتطورها ط 1 (بيروت، دار العلم للملايين، 1965) ص 32، البير نصري نادر: اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1958) ص 10 - 11.
- (2) الماوردي: الاحكام السلطانية، ص 7، د. عزمي محمد شفيق الصالحي: نظرية الخوارج في الامامة، مجلة الشريعة، العدد 4، لسنة (1967 - 1968) ص 203.
- (3) الباقلاني: التمهيد، ص 183، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 520.
- (4) مقالات الاسلاميين 1/ 120.
- (5) الملل والنحل 1/ 158.

فأقاموهم جاز»⁽¹⁾

ويبدو ان الفكرة اخذت عليهم أي (فكرة عدم حاجة الامة الى امام) من بداية اختلافهم مع الخليفة علي (رضي الله عنه)⁽²⁾ يظهر ذلك من قوله حين سمع شعارهم لا حكم الا لله: «كلمة حق اريد بها باطل، نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله، ولا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر»⁽³⁾. اما في الواقع العلمي فمن الملاحظ ان الخوارج بكل فرقهم كانوا يتخذون ائمة (يتخبون خلفاء) ومعنى ذلك انه في التطبيق العلمي لا نجد فرقة خارجية من دون امام، ويؤيد هذا الاستنتاج ما قاله ابن ابي الحديد «من ان رأيهم هذا كان في بدء امرهم فقط»⁽⁴⁾.

وعلى العكس مما يذكر من اعتقاد بعض الخوارج بعدم الحاجة الى امام نجد ان لدى فرقهم فكرة تعدد الائمة بحسب تعدد الاختصاصات فهناك الامام (الخليفة) وهو الامام الشرعي وهناك امام للصلاة وامام للحرب او القتال فقد تعدد امراء الخوارج في حروراء مثلاً فقد امروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي وسموه امير المؤمنين، في حين كان اميرهم للقتال فيها شبت بن ربعي⁽⁵⁾ ويذكر ان امير الخوارج اول ما اعتزلوا كان عبد الله بن الكواء وشبت بن ربعي⁽⁶⁾ وطبيعي ان هذا الموقف أي تعدد الامراء او الائمة مرفوض عند جمهور المسلمين، اذ «لا يجوز ان يكون في الوقت الواحد إمامان واجبي الطاعة وانما تنقد امامة واحد في الوقت ويكون الباقيون

(1) م. ن. 1/ 167 - 168.

(2) الصالحى: الطرماع بن حكيم، ص 45.

(3) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 1/ 488 - 489.

(4) م. ن. 2/ 214.

(5) الطبري: تاريخ، 5/ 73 - 74، ابن الاثير: الكامل 3/ 202.

(6) الاشعري: مقالات الاسلاميين، 1/ 128.

تحت رايته»⁽¹⁾.

3 - إمامة المرأة:

الموضوع الغريب في الإمامة هو موضوع إمامة المرأة فيما يخص عقيدة الخوارج، فتذكر المصادر ان فريقاً من الخوارج جوز إمامة المرأة، اذ يذكر البغدادي ان فريقاً منهم هو شبيب بن زيد الشيباني واتباعه اجازوا إمامة المرأة اذ قامت بأمرهم وخرجت على مخاليفهم واتباعه الاسفرائيني⁽²⁾ وتذكر المصادر ان ذلك قد حدث فعلاً اذ بايع اصحاب شبيب امه غزالة واتخذوها إماماً، بعد مقتل ابنها الى ان قتلت⁽³⁾ وكانت غزالة قد دخلت الكوفة مع شبيب تشاركها جهيزة زوجته ومعها خمسون امرأة يتقلدن السيوف ويحملن الرماح ثم صعدت منبر الكوفة وخطبت⁽⁴⁾ و اشار الاسفرائيني الى انهم بايعوا ايضاً لجهيزة زوجة شبيب⁽⁵⁾ ويلاحظ ان غزالة كانت على رأس خمسين امرأة فليس ببعيد ان تتولى قيادتهن وتوجيهن بتوجيهات حربية فتكون في هذه الحالة بصفة خليفة، ولا سيما ان بعض نساء الخوارج اعتدن على مصاحبة المقاتلين منهم والبقاء مدة طويلة في ساحات القتال على نحو ما حدث مع ام حكيم التي صاحبت قطري بن الفجاءة قائد فرقة الازارقة إذ بقيت معه طول قيادته لهذه الفرقة وقد كتب فيها ابيات شعرية منها⁽⁶⁾:

(1) البغدادي: اصول الدين، 274، الماوردي: الاحكام السلطانية، ص 9.

(2) الفرق بين الفرق، ص 65 - 66، التبصير، ص 35.

(3) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 66.

(4) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 7/ 78 ويذكر البغدادي كانت مع امرأته جهيزة مائتين من نساء الخوارج: الفرق بين الفرق ص 66.

(5) التبصير، ص 35.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 638، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني (ت 356هـ/ 966م): الاغانى (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د. ت)

6/ 148، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/ 32، 160. احمد امين: ضحى الاسلام ط 10

لعمرك اني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم الق ام حكيم
من الخفريات البيض لم ير مثلها شفاء لذي بث ولا لسقيم

ب - المساواة في المجتمع الخارجي:

نادى الخوارج بمساواة الافراد في الحقوق والواجبات في المجتمع الخارجي انطلاقاً من عدم ايمانهم بسيادة قبيلة او جنس معين في ظل الاسلام، وان الكل متساوون في الحقوق والواجبات وان احقهم في التميز والتقديم هو اكثرهم صلاحاً. وقد صرحوا بذلك في مبدأ الخلافة التي قالوا انها تصلح لكل مسلم بصرف النظر عن قبيلته او جنسه⁽¹⁾ بل ان قسماً منهم فضل ان يكون الخليفة غير قرشي ليسهل عزله او قتله اذ خالف الشريعة او خرج على النظام⁽²⁾ ولا شك في ان الخوارج يناقضون في نظرتهم هذه كلاً من نظريتي الجمهور والشيعية في الخلافة، فالجمهور - كما رأينا - متفقون على ان الخلافة في قريش وان الامام ينبغي ان يكون قريشياً في الصميم⁽³⁾ ويستندون في ذلك الى احاديث تروي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مثل «الائمة كلهم من قريش»⁽⁴⁾ ومثل «الناس تبع لقريش في الخير والشر»⁽⁵⁾ كما خالفوا

(القاهرة، مكتبة النهضة المصري، 1965) 3/ 343.

(1) الاشعري: مقالات الاسلاميين، 189، الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 158، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي (ت597هـ/ 1200م): تلبيس ابليس (القاهرة، مكتبة المتنبّي، د. ت) ص96، رشدي عليان: الاسلام والخلافة، (بغداد، مطبعة دار السلام، 1976) ص48.

(2) الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 158، محمد ابو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية، (القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت) ص75.

(3) الباقلائي: التمهيد، 184، البغدادي: اصول الدين، 276، الماوردي: الاحكام السلطانية ص6.

(4) ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 874م): الجامع الصحيح تحقيق عبد الله احمد ابو زينة (القاهرة، دار الشعب، د. ت) 4/ 482.

(5) م. ن 4/ 481.

الشيعة في موقفهم هذا الذين يرون ان الخلافة انما تكون بالنص والوصية⁽¹⁾. وآراء الخوارج يعكسها شعرهم اذ يصرحون بأنهم يتسبون الى الاسلام لا الى قبيلة بعينها، اذ يقول شاعرهم عيسى بن فاتك التميمي⁽²⁾:

ابي الاسلام لا اب لي سواه اذ فخروا ببكر او تميم
كلا الحيين ينصر مدعيه ليلحقه بذى الحسب الصميم

ولكن مع هذه النظرة يلاحظ بأن الخوارج على الصعيد العملي ولأن غالبيتهم بدو ومن تميم خاصة، فقد كان معظم رؤسائهم من العرب وسبب ذلك ان العرب هم الذين ابتدعوا مذهب الخوارج ولم ينضم اليهم الا قليل من الموالي⁽³⁾.

خامساً: فرق الخوارج وعقائدهم الخاصة:

في النصف الثاني من القرن الاول الهجري، قضى الخوارج حياتهم السياسية والعسكرية في الدفاع عن ارائهم ومعتقداتهم بطرق اغلبها اتسم بالعنف والثورة والخروج على السلطة سواء في خلافة الامام علي (رضي الله عنه) في البداية ام خلافة الامويين بعد اغتيالهم الامام علي (رضي الله عنه)، وبعد ان لاقوا من الامام علي والخلافة الاموية اشد ما يمكن ان يتحملوه. ظهرت بينهم مسائل طابعها فقهي وان كانت هذه المسائل ذات الطابع الفكري والفقهي الإيماني لا ينفصل عند الخوارج عن الجانب العلمي لأن (العمل عند بعضهم جزء من الايمان) اي ان الخلافات الفقهية اتخذت طابعاً علمياً، مما سبب انشقاق الخوارج الى فرق متعددة اهمها اربع

(1) الباقلائي: التمهيد، 183، البغدادي: اصول الدين، 283 - 284، محمد عمارة: الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية، ص 139.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 179، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 520.

(3) احمد امين: فجر الاسلام (القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1965) ص 261، انظر حسين عطوان: دراسات اسلامية، ط 1 (بيروت، دار الجيل، 1997) ص 76.

فرق هي الازارقة والصفورية والنجادات والاباضية⁽¹⁾ واهم هذه المسائل التي كان الخلاف حولها هي: الخروج والقيود، وضرورة الثورة على السلطان الجائر، وتكفير سائر المسلمين من غير الخوارج، وتحريم الزواج منهم، وتحريم طعامهم، وتخليد صاحب الكبيرة في النار⁽²⁾، ويؤرخ بعض من المؤرخين القدامى انشقاق الخوارج بعد خلافتهم مع ابن الزبير وعودتهم الى البصرة نحو سنة 64هـ/683م وملاحظتهم تصاعد مشاعر سائر المسلمين تجاههم، مما دفع البعض الى الخروج خارج البصرة، مما عمق من خلافتهم لا سيما بين من اوجب الخروج، ومن اباح البقاء (القيود) في المدينة الى درجة كفر فيها بعضهم بعضاً⁽³⁾.

أ - فرقة الازارقة:

وهم اشد الفرق الخارجية عنفاً يتبعون نافع ابن الازرق (ابا راشد)⁽⁴⁾. غادر نافع واصحابه البصرة الى اقليم الاحواز، فسيطروا عليه وعلى جزء من ارض فارس⁽⁵⁾ بعد

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/220، الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/101، الاسفرائيني: التبصير، ص15.

(2) الاشعري: مقالات الاسلاميين، 1/89، 101، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص50، 52، محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الاسلامية، ط5 (القاهرة، دار المعارف، 1969) ص59.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/225، الطبري: تاريخ 5/566.

(4) وهو ابو راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار، احد بني الدول بن حنيفة ويذكر الطبري انه حظلي من تميم واليه تنسب فرقة الازارقة، (تاريخ 5/566) بعد ان امره عليهم الخوارج، لقبوه بأمير المؤمنين وكان رجلاً شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج وله مسائل كثيرة وقد قتل يوم دولا ب سنة 65هـ. المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/220، الاصفهاني: الاعاني 6/142، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن جزم الاندلسي الظاهري 0/456هـ/1063م: جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، دار المعارف، 1962) ص311، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 9/2، المقرئ: الخطوط 2/354، سيد بن علي المرصفي 0/1349هـ/1930م: رغبة الامل من كتاب الكامل، ط1 (القاهرة، مطبعة النهضة، 1929) 7/104.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/626، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص51، الاسفرائيني:

ان شعروا ان وجودهم في البصرة صعب لتحقيق غاياتهم السياسية، ومن هناك بدأوا يهاجمون البصرة والمدن الاسلامية، ولا يتميز هؤلاء بتطرفهم الفكري والعقائدي وانما بقوتهم وشدة بأسهم، فكانوا «اقوى الخوارج شكيمة، واكثرهم عدداً واعزهم نفراً»⁽¹⁾ وهم الذين تلقوا الصدمات الاولى من ابن الزبير والامويين وقد قاتلوا بقيادة نافع بن الازرق كلاً من الزبيريين والامويين على مدى تسع عشرة سنة حتى قتل زعيمهم ابن الازرق في ميدان القتال سنة 65هـ/ 644م، فتولى بعده عبيد الله بن الماحوز ثم قطري بن الفجاءة، وعبد ربه الكبير وغيرهم من القادة وقد توالى هزائمهم على يد المهلب بن ابي صفرة ومن جاء بعده من القادة الامويين حتى انتهى امرهم⁽²⁾.

وعلى الرغم من التقاء الازارقة مع بقية فرق الخوارج في عقيدتهم العامة كما اسلفنا. الا انهم تميزوا بالمبادئ الاتية عن غيرهم من فرق الخوارج:

- أ - ضرورة الخروج وعدم البقاء في دار السلطان الجائر بحيث انهم كفروا حتى اصحابهم الخوارج من الفرق الاخرى الذين اجازوا القعود.
- ب - حرموا التقية لأنها عندهم نوع من النفاق.
- ج - كفروا مخاليفهم من المسلمين وحرّموا منّاكحتهم وموارثتهم واكل طعامهم
- د - استحلوا قتل اطفال ونساء خصومهم.
- هـ - عدوا مرتكب الذنب من الخوارج مشرّكاً.

التبصير ص 9.

(1) الطبري: تاريخ 5/ 613، الاسفرائيني: التبصير ص 29، محمد الطاهر النيفر: اهم الفرق الاسلامية، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1974) ص 62.

(2) الطبري: تاريخ 5/ 613، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 162 - 163.

و - اوجبوا الهجرة من دار السلطان (العدو) وعدوا من لم يهاجر مشركاً⁽¹⁾.
 ي - وكان الازارقة اكثر من زاول الاستعراض وهو امتحان مخيلفهم وقتلهم ان لم يعجبهم جوابهم فقد ذكر مؤرخو الفرق «انهم اوجدوا امتحان من قصد عسكرهم اذا ادعى انه منهم ان يدفع اسيراً من مخيلفهم وامروه بقتله فاذا قتله صدقوه بدعواه انه منهم وان لم يقتله قالوا منافق ومشرك وقتلوه»⁽²⁾.

ب - الصفرية:

يأتي الصفرية بعد الازارقة في موضوع التطرف والتشدد، وهم اتباع زياد بن الاصفر⁽³⁾ وقد عرفت هذه الفرقة بأكثر من اسم كالزيادة⁽⁴⁾ والاصفرية⁽⁵⁾ ويمكن

(1) ينظر هذه النقاط في، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 226، الاشعري: مقالات الاسلاميين، 1/ 89، ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل 4/ 188، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص50، الاسفرائيني: التبصير، ص29، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 164، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 10، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى (ت786هـ/ 1384م): الفرق الاسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانى) تحقيق سليمة عبد الرسول، (بغداد، مطبعة الارشاد، 1973) ص65، المقرئى: الخطط، 2/ 354.

(2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص5، الاسفرائيني: التبصير ص29.

(3) ان اكثر المؤرخين قد خلطوا في نسبة تسميتهم بين قائل انهم اتباع ابن صفار في رأي المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 220، واتباع ابن صفر كالمقرئى: الخطط 2/ 354 والذي يقول في رواية اخرى انه عبد الله بن صفار بينما نسبة الاشعري والاسفرائيني والشهرستاني الى زياد بن الاصفر: مقالات الاسلاميين 1/ 101، التبصير ص31، الملل والنحل 1/ 184، وعبد الله بن صفار وهو احد بني مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن اديه طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار، وسموا بذلك لصفرة علتهم، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص218، المقرئى: الخطط، 2/ 354.

(4) الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 184، المقرئى: الخطط 2/ 354.

(5) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص54، الاسفرائيني: التبصير، ص15، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 184، المقرئى: الخطط 2/ 354.

تلخيص اهم آرائهم الفقهية والعلمية بما يأتي⁽¹⁾:

- أ - سالموا الناس في المدن اي انهم اجازوا القعود والمعاملة مع بقية المسلمين.
- ب - لم يتعرضوا احداً من المسلمين اي انهم لم يزالوا بعد الانشقاق مبدأ الاستعراض.
- ج - كانوا ينكرون قتل مخاليفهم من سائر المسلمين من الخوارج.
- د - لم يحكموا بقتل اطفال هؤلاء ونسائهم.
- هـ - لم يوجبوا الهجرة.
- و - اجازوا التقية في القوا دون العمل.
- ي - لم يكفروا امر مرتكب الكبيرة ولا يحكم بإشراكه ويخالفوا بذلك بقية فرق الخوارج فقد رأوا ان الشرك ليس شركاً واحداً بل شركين والكفر عندهم كفران، لهذا فالبراءة في عرفهم براءتان براءة من اهل الجحود، وبراءة من اهل الحدود.

ج - النجدات:

وهم اتباع نجد بن عامر الحنفي، وكان مع مجموعة من الخوارج من منطقة اليمامة في شرق شبه الجزيرة العربية ممن ساندوا حركة ابن الزبير في مكة 64هـ/ 683م⁽²⁾ فلما رأوا ان ابن الزبير على غير مذهبهم انفصلوا عنه وعادوا الى اليمامة وظلوا على

(1) هذه النقاط ينظر الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 101، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 54، الاسفرائيني: التبصير ص 31، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 184، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ/ 1210م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة علي سامي النشار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1982) ص 51 المقريزي: الخطط 2/ 354.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 225، الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 89 - 90.

ولأنهم لابن الأزرق حتى أحدث نافع قوله في القعدة، ففارقه جماعة على رأسهم أبو فديك وتوجهوا إلى اليمامة وبايعوا نجدة بن عامر بعد ما أوضحوا له محادثات الأزرق فانشقوا بذلك عن الأزارقة مؤسسين فرقتهم الجديدة النجدات⁽¹⁾ وأطلقوا على نجدة أمير المؤمنين⁽²⁾ وسموا أيضاً العاذرية لأنهم عذروا الناس بالجاهلات في الفروع «فالناس معذرون بجهالة حتى تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام»⁽³⁾. واتباع نجدة كانوا في الأصل في اليمامة مع أبي طالت الخارجي ولكنهم تركوه وبايعوا نجدة سنة 66هـ/685م، فعظم أمره وأمرهم حتى استولوا على البحرين وحضر موت واليمن والطائف⁽⁴⁾ وإن شأنهم شأن بقية فرق الخوارج يختلفون فيما بينهم في أمور ثانوية تقودهم إلى الافتراق، وهذا شأن النجدات مع أميرهم نجدة⁽⁵⁾ فخرجت منه طوائف أنكروا أمارته فطائفة ثارت على نجدة وقتلته وأقامت مقامه أبا فديك، واستمر أمرها بوصفها أقوى الفرق النجدية شكيمة إلى أن أرسل إليهم عبد الملك بن مروان جيشاً هزمها وقتل زعيمها لتكون نهاية لها⁽⁶⁾. وهناك طائفة أخرى التي خرجت مع عطية بن الأسود إلى سجستان بمبادئ النجدات المجمع عليها⁽⁷⁾

-
- (1) الأشعري: مقالات الإسلاميين 1/90، الأسفرائيني: التبصير، ص30، الشهرستاني: الملل والنحل 1/168.
- (2) الشهرستاني: الملل والنحل 1/165، المقرئ: الخطط 2/354.
- (3) الأشعري: مقالات الإسلاميين 1/90، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص53، الشهرستاني: الملل والنحل 1/166، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/8.
- (4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، 2/227، الشهرستاني: الملل والنحل 1/165.
- (5) إذ نعموا على نجدة عندما نعموا على ابنه حينما سبى النساء وأكل من الغنيمة عندما أرسله في جيش لمقاتلة مخالفيهم، الأشعري: مقالات الإسلاميين، 1/101، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص53، الشهرستاني: الملل والنحل 1/165.
- (6) البغدادي: الفرق بين الفرق ص54، الأسفرائيني: التبصير ص31، الشهرستاني: الملل والنحل 1/176.
- (7) الأسفرائيني: التبصير ص30، الشهرستاني: الملل والنحل 1/168.

والى جانب هاتين الطائفتين ظلت العاذرية موالية لنجدة وعذرتة فيما نسب اليه⁽¹⁾، وقد تميز النجدات عن باقي فرق الخوارج بالمبادئ الالائية⁽²⁾:

أ - لم يكفروا قعدة الخوارج.

ب - ولم يستحلوا قتل الاطفال والنساء.

ج - انهم اجازوا التقية.

د - الاباضية:

وهم اتباع عبد الله بن اباض⁽³⁾ الذي كان مع نافع ابن الازرق ثم انفصل عنه

(1) الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 92، البغدادي: الفرق بين الفرق ص 54، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 165، الكرمانى: الفرق الاسلامية ص 67.

(2) هذه النقاط تظهر في: محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي ابو حاتم الرازي (277هـ/ 890م): الزينة، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا / كلية الآداب / جامعة بغداد برقم 599 ورقة 229 أ، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 226، البغدادي: الفرق بين الفرق ص 52، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 166، المقرئزي: الخطط 2/ 354.

(3) عبد الله بن اباض المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، واليه تنسب الاباضية، ولقد فارق جميع الفرق مثل المعتزلة والقدرية والصفانية والجهمية والخوارج والروافض نشأ في زمن معاوية بن ابي سفيان وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان، وكان ممن خرج الى مكة لمنع حرم الله من مسلم بن عقبة المرثي عامل يزيد، وبعد اختلاف الخوارج عند عودتهم من مكة، تفرق عنهم الاباضية لأسباب عقائدية لم يأخذ بها الاباضيون. المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 220، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 218، المقرئزي: الخطط 2/ 355، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/ 1678م): شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت) 1/ 177، عبد الله الفقير سالم بن حمد ابن سليمان بن حميد الحارثي الاباضي الضيربي: العقود الفضية في اصول الاباضية، (بيروت، دار اليقظة العربية، د. ت) ص 121، لم تتفق المصادر التاريخية على مؤسس الاباضية فهو الخارجي ابان مروان بن محمد، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 180، لكن يراه بعضهم بأنه اباضي: المقرئزي: الخطط 2/ 355، وبعضهم الآخر يراه اباض ابن عمرو الذي خرج من سواد الكوفة، ابو الحسن محمد بن احمد الملطي (ت 377هـ/ 987م): التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع، تصحيح. س. ديلرينغ، (استنبول، مطبعة الدولة، 1936) ص 42، اما الاشعري فيراه

لقوله بالمحدثات المذكورة آنفاً، وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيراً وابعدهم عن الشطط والتطرف ولذلك بقوا الى الآن ولهم فقه جديد وتقيم طوائف منهم في الجزائر وعمان وشرق افريقيا، وحضر موت وزنجبار⁽¹⁾. ويمكن تلخيص اهم مبادئهم⁽²⁾:

أ - عدوا مخالفيهم من المسلمين ليسوا بالمشركين ولا بالمؤمنين ويسمونهم كفاراً الا انهم يقولون بأنه كفر نعمة لا كفر ملة (اعتقاد) اي انهم لم يكفروا بالله تعالى ولكنهم قصرُوا في جنب الله.

ب - مرتكبوا الكبيرة عند الاباضية في معتقدهم من الموجددين اي انهم غير مخلصين في النار.

ج - لا يعدون دار مخالفيهم دار كفر وحرب وانما دار توحيد واسلام الا معسكر السلطان.

د - لا يحلون من غنائم المسلمين الذين يحاربونهم الا الخيل والسلاح بينما يحرمون باقي الغنائم.

هـ - انهم لا يكفرون الفرق الاخرى، وعلى الرغم من انهم لا يعتبرونهم مؤمنين بل منافقين والنفاق في عرفهم ليس شركاً.

انه جابر ابن زيد: مقالات الاسلاميين 1/102 ولكنه عرف الطبري والاسفرائيني بأنه عبد الله بن اباض: تاريخ 5/566، التبصير، ص 43.

(1) الاسفرائيني: التبصير، ص 34، عبد الله الحارثي: العقود الفضية، ص 167، ابو زهرة: تاريخ المذاهب، ص 91، صالح باجي: الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى، ط 1 (تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر، 1976)، ص 35.

Duncan B. Macdonald، Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory (Pakistan, 1930) p. 26.

(2) هذه النقاط ينظر: الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/104 - 110، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 61 - 62، الاسفرائيني: التبصير، ص 34، الشهرستاني: الملل والنحل 1/181.

على الرغم من ان هذه الفرق التي تطرقنا اليها فيما سبق، فقد كانت الاصول التي انشقت منها واضحة فرقا تمثل الخوارج في آرائها ومعتقداتها بعد اندثار معظم الفرق التي ظل ذكرها يتردد في المصادر الاصلية. فهناك فرق اخرى ليست بحجم ولا اهمية الفرق الاربع تخالف بعض مقولاتها وآرائها آراء الفرق الاربع واهم هذه الفرق هي البيهسية⁽¹⁾ والعجاردة⁽²⁾.

وصفوة القول ان فرقة الخوارج من اكثر الفرق المناوئة للخلافة ولا سيما الاموية لأنها ترى وجوب الخروج على السلطان الجائر - حسب رأيهم - وان معظم خلفاء بني امية من وجهة نظرهم خلفاء غير شرعيين لهذا كانوا كثيري الثورات في مدة حكمهم بل انهم مع الامويين في ثورة دائمة وهذا ما جعل هذه الفرقة فرقة متطرفة ولعل افضل آرائهم هي البيعة بالخلافة لمن توافرت فيه شروط استحقاقها في المسلم الصالح بغض النظر عن جنسيته ولونه وقوميته

(1) واهم اتباع ابي بيهس الهيصم بن عامر وقد اعدم في المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك بعد ان قطع يديه ورجليه، المبرد: الكامل في اللغة والأدب، 2/ 231، عبد الله بن محمد بن احمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي (ت385هـ/ 995م): مفاتيح العلوم، تصحيح ادارة الطباعة المنيرية (القاهرة، مطبعة الشرق، 1955)، ص19، الاسفرائيني: التبصير، ص35، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 169، المقرئ 2/ 355.

(2) وهم اتباع عبد الكريم بن عجرد، وكانت وفاته في السجن اثناء ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق، الاشعري: مقالات الاسلاميين 1/ 95، الشهرستاني: الملل والنحل 1/ 173، المقرئ 2/ 354.

الفصل الرابع

نشاط الحركات الخارجية في البصرة

- 1 - لمحة تاريخية عن البصرة وتقسيماتها الادارية
- 2 - نشاط الخوارج السري في البصرة
- 3 - الخوارج في البصرة
- أ - الخوارج في ولاية عبد الله بن عامر (41 - 45هـ)
- ب - الخوارج في زياد بن ابي سفيان (45 - 53هـ)
- ج - الخوارج في ولاية عبيد الله بن زياد (55 - 64هـ)
- د - الخوارج وحركة عبد الله بن الزبير

أولاً: لمحة تاريخية عن البصرة وتقسيماتها الادارية:

البصرة احد الامصار التي مصرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة 14هـ/ 635م⁽¹⁾ اختطها القائد العربي عتبة بن غزوان ليباشر من هناك تحرير الاراضي العربية من الاحتلال الفارسي، فنزلت المقاتلة العرب الخريبة⁽²⁾ ومن هناك بدأوا نشاطهم العسكري فحرروا الابل⁽³⁾. وبعد تمصير البصرة قسمت الى خطط عدة جعلت لسكنى القبائل العربية⁽⁵⁾ فوزعت البصرة الى سبعة اقسام يطلق عليها الاسباع وسكن في كل سبع قبيلة او اكثر وكان لهذه الاسباع رؤساء يطلق عليهم امراء

-
- (1) ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص 563، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت 279هـ/ 892م): فتوح البلدان، تصحيح رضوان محمد رضوان (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978) ص 341، البعقوبي: تاريخ، 2/ 133، الطبري: تاريخ 3/ 590، المسعودي: مروج الذهب 2/ 328، المقدسي: البدء والتاريخ، 5/ 170، اسحاق بن حسين المنجم (من علماء القرن الخامس الهجري) أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (طبع باللاوفست، د. ت) ص 6، ياقوت الحموي: معجم البلدان 432/ 1، وهناك من جعلها سنة 16هـ وقيل 15هـ ابن الاثير: الكامل 355/ 2، ابن الكازروني: مختصر، ص 66، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/ 168، وهناك من جعلها سنة 17هـ، حيث ذكرت في موضع آخر من كتاب ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 491، وبذلك يذكر العديد من المؤرخين العرب القدامى بأن تمصيرها جرى عام 14هـ ولهذا فأن معظم الباحثين يميلون الى هذا التاريخ.
- (2) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال ص 123، البلاذري: فتوح البلدان، ص 342، احمد كمال زكي: الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري، ط 1 (دمشق، دار الفكر 1961) ص 24.
- (3) الابل: بلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى زاوية الخليج العربي الذي يدخل الى مدينة البصرة، ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/ 77.
- (4) ابن خياط: تاريخ 1/ 97، الطبري: تاريخ 3/ 594.
- (5) الطبري: تاريخ 3/ 593.

الاسباع⁽¹⁾ ولقد بقيت على هذا النمط من التقسيم حتى ولاية زياد بن ابي سفيان على البصرة (45 - 53هـ / 665 - 672م) فجعلها اخماساً ويسمى كلاً منها خمساً ويضم عدداً من العشائر وبذلك صارت البصرة تتكون من خمسة اقسام كل قسم لقبيلة وهي بكر ابن وائل، واهل العالية، وتميم، وعبد القيس، والازد⁽²⁾ وفي امارة عبد الله بن عامر (29 - 36هـ / 649 - 656م) اتسعت عمليات الفتوح متخذين البصرة القاعدة العسكرية التي تنطلق منها القوات الاسلامية فوق عاتقها على البصريين، فكان من الطبيعي ان تتعش الحياة الاقتصادية في البصرة جراء هذه الفتوحات اذا ما علمنا ان موقعها الجغرافي ساعد على توافد التجار اليها، ونمو الحياة المدنية تدريجياً⁽³⁾ فهي تعد مركزاً تجارياً مهماً عند ملتقى طرق قارية وبحرية، ومن شأن هذا ان يفيد التبادل التجاري بين العراق وبلاد الجنوب والشرق وبخاصة الشرق الاقصى⁽⁴⁾ الا انه عقب وفاة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) سنة 35هـ / 655م بدأت الاضطرابات والفتن تجتاح البصرة ومن ثم اثرت في توقف عمليات الفتوح من جهة وفي ركود الحياة الاقتصادية من جهة اخرى، والتي تزعزت بالانقسامات والتناحرات القبلية التي خلفتها وقعة الجمل سنة 36هـ / 656م فانقسم اهالي البصرة بين مؤيد ومعارض ما بين الخليفة علي (رضي الله عنه) والسيدة عائشة ام المؤمنين⁽⁵⁾ ناهيك

(1) الطبري: تاريخ 3/ 49.

(2) ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت 279هـ / 892م): انساب الاشراف (اورشليم، مطبعة جامعة القدس، 1938) 5/ 259، 429، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص 74، د. صالح احمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ط 1 (بيروت، دار الطليعة، 1969) ص 40.

(3) ابن الاثير: الكامل 2/ 492 - 493.

(4) شارل بلات: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ترجمة ابراهيم الكيلاني (دمشق، دار البيقطة العربية، 1961) ص 330.

(5) الطبري: تاريخ 4/ 503، ابن الاثير: الكامل 3/ 106.

عن الاضطرابات والنزعات القبلية التي تأججت عقب وفاة يزيد بن معاوية سنة 64هـ / 683م في عهد واليها عبيد الله بن زياد وانشغال اهالي البصرة بالمشاكل الداخلية واهمالها للخطر الخارجي⁽¹⁾ وازاء هذه الظروف التي مرت بها البصرة صارت ارضاً خصبة لنشوء أي حركة منوثة للخلافة، وعلى الرغم من قلة المعلومات عن بداية ظهور الخوارج في البصرة، فالظاهر أن حركتهم تسلمت الى البصرة من خلال نشاط عدد من الافراد ارتبطوا مع بعضهم بأرائهم وافكارهم واتحدت قوتهم برفضهم مسألة التحكيم في بادئ الأمر حتى تبلورت افكارهم الى حركة دينية سياسية لمعارضتهم الخلافة الاموية، وقد تركزت دعوتهم في ضرورة مواجهة السلطة الاموية الظالمة في رأيهم فاستطاعوا بذلك ان يستهووا الكثير من الناس حتى ان ابن زياد كان يقول «كلام هؤلاء (يعني بهم الخوارج) اسرع الى القلوب من النار اليراع»⁽²⁾ وقد وردت الينا اشارة عن خروج خوارج البصرة بزعامة مسعر بن فديكي التميمي لمساعدة اخوانهم في الكوفة في وقعة النهروان سنة 38هـ/ 657م⁽³⁾ وهذا يمدنا باستنتاجين رئيسيين:

اولهما: من الممكن القول ان من النتائج التي اسفرت عنها وقعة الجمل هي ظهور الفتن والاضطرابات في العالم الاسلامي، لأنه من الطبيعي ان لا ينسى اهل البصرة قتلهم والمأساة التي جرت من هذه الوقعة من خلال موقفهم مع الخلافة او ضدها، وهذا ما ذكره المؤرخون باتفاق هؤلاء مع خوارج الكوفة والذهاب في مشاركتهم في النهروان، وظن الامام علي (رضي الله عنه) بعد هذه الوقعة انه قد تخلص من خطر الخوارج الي كان يشكل خطراً على مركزه وجيشه ولكن لم تزد الامور الا تعقيداً عليه فلقد اضافت وقعة النهروان جرحاً جديداً الى الجرح القديم الذي احدثته وقعة

(1) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق2/ 101، الطبري: تاريخ 5/ 225 - 226.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 201.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 76 - 77، ابن الاثير: الكامل، 3/ 215.

الجميل في البصرة لذلك فأن الذين أصيبوا كان معظمهم من اهل البصرة وبعضهم من اهل الكوفة وكان بسببها ذلك التخاذل الذي رأيناه من اهل البصرة حين ندبهم ابن عباس للخروج مع الامام علي (رضي الله عنه) لمواجهة معاوية⁽¹⁾.

ولا يمكن ان نقول ان التحاق خوارج البصرة بخوارج الكوفة انهم اخوانهم في النسب او القبائل التي ينتمون اليها ونحن لا نؤيد هذه الفكرة بل هي دعوة للقتال لأن الخوارج لم يقتصروا على قبيلة بل هم مجموعة من الافراد ومن قبائل مختلفة يربطهم مع بعضهم رفضهم لمسألة التحكيم والنتائج المترتبة عليها.

ومن سير الاحداث والنتائج يتبين لنا ان لهم اجتماعاتهم ورؤسائهم واجتهاداتهم وآرائهم في الفتنة والتقاءهم بخوارج الكوفة وهذا يتبين من سرعة انتماء مسعر بن فدكي التميمي والتحاقه باخوانه بالخوارج الكوفة وعلى النحو هذا ظهر خوارج البصرة.

وثانيهما: ان بعد وقعة الجمل رحلت اعداد كثيرة من جند البصرة مع الخليفة علي (رضي الله عنه) الى الكوفة عند عودته اليها لمعالجة امر معاوية وهذا لم يغب عن دهاء وفطنة عمرو بن العاص الذي حث جند الشام على القتال والنصر اذ قال «ان اهل العراق قد فرقوا جمعهم واوهنوا شوكتهم وفلوا حدهم، ثم ان اهل البصرة مخالفون لعلي، وقد وترهم وقتلهم وقد تفانت صنابيرهم وصناديد اهل الكوفة يوم الجمل»⁽²⁾ وهذا يعني ان جيش علي كان يضم عثمانية لا يقاتلون معه عن رضى وصدق بل كان منهم المخلص والمدخول⁽³⁾.

(1) الطبري: تاريخ 78/5، احمد ابراهيم شريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة، ط1 (القاهرة، دار الفكر العربي، 1968) ص380.

(2) الطبري: تاريخ 4/563.

(3) طه حسين: اسلاميات، ط1 (بيروت، منشورات دار الادب، 1967) ص897.

فكان من الطبيعي عند حصول اقتراح التحكيم وظهور الخوارج ان تتأثر افكار مجموعة منهم بما حدث وتتلور جهودهم معاً.. وهذا يعني ان سريان الافكار من منطقة الى اخرى كان امراً متوقعاً نتيجة جسامة الاحداث وخطورة نتائجها وتأثر الافراد والجماعات بهذه الاحداث الكبرى كان يسري من فرد الى آخر ومن جماعة الى اخرى حتى تتغلب وتنتشر في مناطق عدة في آن واحد هذا فضلاً عن ان جيش الخليفة علي (رضي الله عنه) الذي عاد من صفين قد انتشر اغلب جنوده من بين قبائلهم الموزعة في العراق، وفي البصرة والكوفة خاصة مما ساعد على نقل انطباعاتهم وافكارهم عما حصل.

وقد عرف خوارج البصرة بتطرفهم، فغالباً ما يخرجون للسلب واستعراض الناس مما حمل اهل البصرة وقبائلها مساعدة الخلافة في القضاء عليهم⁽¹⁾.

وشملت حركة الخوارج عموماً الرجال والنساء معاً⁽²⁾ ومن قبائل مختلفة وان كان اكثرهم من بني تميم وبكر، فكان اغلب زعمائهم ينتمون الى عشائر تميمية، كقطري بن الفجاءة وهو من بني مازن⁽³⁾ وعروة بن ادية ومرداس بن ادية من حنظلة⁽⁴⁾ وابن الماحوز وهو من سليط⁽⁵⁾ ويبدو ان انتشار افكار الخوارج بين تميم خاصة ربما يفسر بأن تميم كانت اقرب الى البداوة وان الفكر الخارجي لاءم نظرتهم الى الخلافة المركزية

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 199، ابن ابي الحديد: نهج البلاغة 2/ 9.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 245.

(3) ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري (ت 321هـ/ 933م): الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بغداد، مكتبة المشى، 1958) 1/ 205، ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 212.

(4) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 223.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 201، 233.

كما كان هناك من بينهم من بكر كعمران بن حطان الذهلي وعبيدة البشكري⁽¹⁾ وابي يبهس الضبيعي، وخالد بن عباد السدوسي⁽²⁾ ونجدة بن عامر وعبد الله بن اباض الحنفين⁽³⁾. وقد ذكر من الازد قريب وزحاف⁽⁴⁾ ولكن الحركة لم تنتشر بين الازد - وهذه ظاهرة تسترعي الانتباه - ذلك ان المهلب بن ابي صفرة الازدي كان اشد من حاربهم وكان معظم جيشه من الازد⁽⁵⁾ كما ان موقف الازد يتجلى في مقاومتهم للخوارج في اثناء غياب زياد في الكوفة، وقضائهم على حركة زحاف وقريب⁽⁶⁾. ولم يختصر الأمر على الازد، بل ان بعض بطون تميم نفسها وقفت موقفاً مناوئاً للخوارج وتعرض بعض رجالاتها لزعامات الخوارج من بني بطونهم كعباد بن علقمة الذي قتل ابا بلال مرداس بن ادية⁽⁷⁾ وحرموز بن الفجاءة الذي قاتل اخاه قطري بن الفجاءة⁽⁸⁾ وهذا يعني «ان النزعة العصبية عند الخوارج كانت اقل واهون شأنًا من الرأي والمذهب»⁽⁹⁾.

ثانياً: نشاط الخوارج السري في البصرة:

على الرغم من محدودية معلوماتنا عن النشاط السري في البصرة، الا ان ما توفر من مخطوطات رجع اليها دارسو الخوارج عامة والحركة الاباضية خاصة يمكن

(1) م. ن، 2/ 144.

(2) م. ن، 2/ 218، 231.

(3) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 310.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 251.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 251.

(6) الطبري: تاريخ 5/ 238.

(7) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، ص 211.

(8) م. ن، ص 212.

(9) طه حسين: اسلاميات، ص 944.

ان تعطينا صورة لا بأس بها عن نشاط هذه المجموعة من الخوارج بالبصرة كانت بحسب هذه المصادر مركزاً لتوجيه الحركة الخارجية ولا سيما الاباضية، وكان اثرها واضحاً في الحركات التي جرت في المناطق القريبة من البصرة سواء باتجاه الاحواز ام باتجاه عمان فضلاً عن تأثيرهم في الحركة الخارجية في المغرب⁽¹⁾.

وكما هو معلوم ان كل عمل مناوئ او معارض يسبقه تنظيم سياسي منظم ومخطط على وفق غايات وسياقات معينة، وهذا فيما يتعلق بالخوارج فقد بدأت تنظيماتهم واجتماعاتهم السرية تعقد في غاية السرية والكتمان، يعييون فيها الخلافة الاموية وعمالها وولاتها، وقد تنوعت اماكن اجتماعاتهم فاحياناً تتم اجتماعاتهم في احد بيوت اخوانهم كما حصل عندما كانوا يجتمعون في بيت رجل اسمه جدار⁽²⁾ وكان من بينهم نافع بن الازرق الحنفي⁽³⁾ وسرعان ما كانوا يضعون خططهم موضع التنفيذ اذ يخرجون لاستعراض الناس وقتلهم من دون أي اعتبار للسلطة الاموية وقد عرفت الازارقة بتطرفها هذا فقد تميزت عن الفرق الاخرى بالسرعة والقوة والشدة، الا ان اندفاعهم السريع ونزاعاتهم فيما بينهم حال دون نجاح الحركة امام مواجهة الخلافة الاموية. في حين نرى العكس فيما يتعلق بالحركة الاباضية، وان كانت لها تنظيماتها السرية، الا انها كانت مترتبة في اندفاعها العسكري ضد الخلافة الاموية، فكانت اجتماعاتهم تعقد بتحفظ شديد في سراديب تحت الارض وكان يجلب امام السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها اذا ما رأى شخصاً مقبلاً لينبه من في الداخل الى التزام الصمت ريثما يمر من يشته في امره⁽⁴⁾. وغالباً ما تعقد هذه

(1) باجيه: الاباضية بالجريد، 24 - 25.

(2) ابن الاثير: الكامل 516/3.

(3) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ق1/155 - 156.

(4) ابو زكريا يحيى بن ابي بكر (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري): السيرة واخبار الائمة، مخطوط بدار الكتب - رقم 9030، ورقة 5، نقلاً عن محمود اسماعيل: الخوارج

المجالس والاجتماعات في بيوت النسوة العجائز منعاً للشبهة⁽¹⁾ بل راحوا الاباضية الى ابعد من ذلك حينما بدأوا ييشون مذهبهم الى الامصار الاسلامية الاخرى منطلقين من مركز دعوتهم البصرة والراجح ان جابر بن زيد وهو من اعلام المذهب الاباضي اسس نظام الدعوة في اواخر القرن الاول الهجري واول القرن الثاني⁽²⁾ وكان جابر يحافظ بشدة على سرية معتقده وذلك عندما كان يصلي الجمعة في المسجد الجامع في البصرة خلف ابن زياد لأبعاد التهمة عنه، وعندما كان اصحابه من القعدة يعاتبونه على ذلك كان يجيبهم بقوله «انها صلاة جامعة وسنة متبعة»⁽³⁾ وقد بلغ التنظيم الاباضي شأنه في عهد رئاسة خليفته ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة، اذ توجه في عهده دعاة الاباضية الى خراسان والجزيرة العربية وبلاد المغرب وخير دليل على ذلك الرسالة التي بعث بها دعاته في المغرب في اوائل القرن الثاني الهجري⁽⁴⁾ ومعنى ذلك ان نشاط الخوارج السري كان مستمراً وموجود قبل نهاية القرن الاول الهجري في البصرة.

اما الصفرية كانت لها اجتماعاتهم ودعاتهم، الا انها تميزت بالتريث ايضاً مستفيدة من اخطاء الازارقة، لذا لم يدخلوا المعترك السياسي الا في سنة 76هـ/ 695م عندما

في المغرب الاسلامي (بيروت، دار العودة، 1976) ص 43، مهدي طالب هاشم: الحركات الاباضية في المشرق العربي، (رسالة الماجستير، جامعة بغداد، 1977) ص 77.

(1) ابو العباس احمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت 928هـ/ 1521م): السير (القاهرة، مطبعة حجر، د. ت) ص 108 - نقلاً عن محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي، ص 43.

(2) محمود اسماعيل: الحركات السرية في الاسلام، ط 1 (بيروت، دار القلم، 1973) ص 19.

(3) عبد الله الحارثي: العقود الفضية، ص 97، عوض خليفات، نشأة الحركة الاباضية (عمان، 1978) ص 91.

(4) ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة (توفي في اواخر القرن الثاني الهجري): رسالة في احكام الزكاة، مخطوط بدار الكتب رقم 21582 ب، نقلاً عن محمود اسماعيل: الحركات السرية، ص 19.

ثار صالح بن مسرح ضد الامويين جاعلين الموصل قاعدة لحركاتهم المتجهة صوب الكوفة والبصرة فسقطت الكوفة في ايديهم مرتين، الاولى حركة شبيب سنة 76هـ/695م⁽¹⁾ والثانية حركة بسطام بن يشكر المعروف بشوذب الخارجي سنة 100هـ/718م⁽²⁾ ولما كانت الاباضية كالصفورية، فأُن نشاطهم السياسي جاء متأخراً عن الازارقة فاستغل عبد الله بن اباض الاضطرابات التي نشبت في عهد مروان بن محمد (127 - 132هـ) (744 - 750م) حتى اعلن حركته عليهم الا ان الخليفة وجه له عبد الله بن محمد فتمكن من قتله وهزمه مع اصحابه⁽³⁾.

ثالثاً: الخوارج في البصرة:

عندما تسلم معاوية بن ابي سفيان الخلافة سنة 41هـ/661م ازداد نشاط الخوارج ازدياداً كبيراً في ارجاء مختلفة من الدولة العربية الاسلامية، لذلك لم تكن الكوفة المصر الوحيد المعارض للخلافة الاموية، بل شهدت البصرة نشاطاً مميزاً بدءاً للحركة الخارجية فما ان هدأت الاوضاع اثر الصلح الذي عقد بين الامام الحسن ومعاوية في عام الجماعة سنة 41هـ/661م، حتى وثب حمران بن ابان على الصرة فاستولى عليها داعياً للحسين بن علي (عليه السلام) فبعث معاوية بسر بن ابي اربعة فاستطاع هذا ان يقضي عليه ويعيد النظام الى نصابه سنة 41هـ/661م⁽⁴⁾ غير ان الاضطرابات لم تلبث ان عادت من جديد مما دفع معاوية الى عزله عن ولاية البصرة وتعيين عبد الله بن عامر مكانه في اواخر سنة 41هـ/661م⁽⁵⁾.

(1) الطبري: تاريخ 6/224، ابن الاثير: الكامل، 4/153.

(2) الطبري: تاريخ 6/555، ابن الاثير: الكامل 4/317.

(3) الرازي: اعتقادات، ص 51، الشهرستاني: الملل والنحل، 1/180.

(4) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 4/168، ابن الاثير: الكامل، 3/278، ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 7/22.

(5) ابن الاثير: الكامل 3/278، علي ظريف الاعظمي، مختصر في تاريخ البصرة (بغداد، مكتبة

أ - الخوارج في ولاية عبد الله بن عامر (41 - 45هـ):

نشطت حركة الخوارج في البصرة في عهد واليها عبد الله بن عامر، حيث ثار سهم بن غالب الهجيمي⁽¹⁾ والخطيم الباهلي⁽²⁾ في البصرة سنة 41هـ/ 661م في سبعين رجلاً⁽³⁾ ويعزى سبب خروجهما الى امرين، اولهما كرههم وبغضهم للأمويين. وثانيهما لم يكن هناك عائق لخروجهم، اذ لم يكن والي البصرة عبد الله بن عامر حازماً في ادارته، بل كان رجلاً يميل الى سياسة اللين والتسامح فأدت سياسته اللينة وعدم شدته الى اثاره الفتن والاضطرابات في المنطقة⁽⁴⁾ مما عمل على تقوية الحركات الخارجية في البصرة، بل زادت في تطرفهم بالبعث في امن المنطقة وسلامة اهلها، فبعد ان اصبح سهم بن غالب واتباعه عند الجسر اخذوا يعترضون الناس ويشيرون الرعب فيهم، فاعترضوا احد الصحابة، وهو عبادة بن قرص الليثي مع ابنه وابن اخيه⁽⁵⁾. فراح الخوارج يسألونه ويتهمونه بالكذب، فعجب الصحابي من امرهم بقوله «اقبلوا منا قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) مني، فأني كذبتة وقاتلته ثم اتيته فأسلمت»⁽⁶⁾. الا انهم اشتدوا غضباً ونعتوه بالكافر فقتلوه وقتلوا من معه⁽⁷⁾ وحينما علم امير البصرة بأمرهم ارسل قواته لملاحقتهم فقتل عدداً منهم، وضيق

الفرات، 1927) ص 27.

- (1) سهم بن غالب بن الهجيم بن عمرو بن تميم، وكان من المستبصرين وهو اول من سمي اهل القبلة بالكفر ولم تكن الخوارج قبله تقطع بالشهادة في الكفر والايمان. البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق1/ 147، ابن حزم: جمهرة انساب العرب 1/ 209.
- (2) الخطيم الباهلي وهو يزيد بن مالك احد بني وائل وسمي بالخطيب لضربة ضربها على وجهه، البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق1/ 147.
- (3) الطبري: تاريخ 5/ 171، ابن الاثير: الكامل 3/ 417، النويري: نهاية الارب، 20/ 277.
- (4) الطبري: تاريخ 5/ 212، ابن الاثير: الكامل 3/ 280.
- (5) ابن خياط: تاريخ 1/ 188، الطبري: تاريخ 5/ 171.
- (6) النويري: نهاية الارب 20/ 277.
- (7) الطبري: تاريخ 5/ 171، ابن خلدون: تاريخ 3/ 142.

عليهم الخناق حتى اضطروا الى طلب الامان فمنحهم اياه، ثم كتب بأمرهم الى معاوية الذي امر بقتلهم، الا ان الوالي لم يستجب لأمر الخليفة وفقاً لعهد الامان الذي اعطاهم اياه فتذرع الى الخليفة بقوله «اني قد جعلت لهم ذمتك»⁽¹⁾.

وهكذا نجد ان ابن عامر يميل الى سياسة التسامح تارة والى العنف والشدة تارة اخرى وقد وصفه الطبري بأنه كان «رجلاً لناً كريماً سهل الولاية لا يعاقب في سلطانه ولا يقطع لصاً»⁽²⁾. وحينما اضطربت البصرة في ايامه بسبب نشاط الخوارج عوتب على ذلك فبرر سلوكه بقوله «كيف انظر الى رجل قد قطعت اباه او اخاه»⁽³⁾ وهذا يتضح مدى تساهله في سياسته مع الخوارج في البصرة وعندما شكا الى زياد حال اهل البصرة قال له زياد «جرد فيهم السيف.. فرد عليه.. اني اكره ان اصلحهم بفساد نفسي»⁽⁴⁾. وبهذا لم يتخذ عبد الله بن عامر أي تدابير حازمة في البصرة لوقف التدهور الذي ساد اثناء ولايته، حتى ان القتل والسلب اصبحا من الأمور المألوفة في البصرة فلم يكن هناك رادع للعابثين، وهذا مما حمل معاوية الى عزله عن الولاية سنة 45هـ/ 665م⁽⁵⁾.

ب - الخوارج في ولاية زياد بن ابي سفيان (45 - 53هـ):

بعد عزل عبد الله بن عامر سنة 45هـ/ 665م، عين الحارث بن عامر الازدي على ولاية البصرة الا انه لم يدم في ولايته سوى اربعة اشهر، ثم عين زياد والياً عليها سنة

(1) ابن خياط: تاريخ 1/ 188، الطبري: تاريخ 5/ 171، النوري: نهاية الارب 20/ 278.

(2) تاريخ 5/ 212.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 212.

(4) ابن الاثير: الكامل 3/ 298.

(5) ابن خياط: تاريخ 1/ 191 - 192، الطبري: تاريخ 5/ 212، ابن الاثير: الكامل 305/ 3.

45هـ/ 665م⁽¹⁾ لما عرف من كفاءته الادارية وقيادته العسكرية.

وصل زياد الى ولايته الجديدة في آخر شهر ربيع الآخر من العام نفسه، وهي تعج بالمشاكل فبدأ باللقاء خطبته البتراء ومما قاله فيها «فكفوا عني ايديكم والستكم اكفف ويدي واذاي لا يظهر من احد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه»⁽²⁾. مبيناً بها منهجه الذي يتبعه في ادارته ومعالجة مشكلاتها في اسلوب يتميز بالشدة والحزم وهكذا مزج زياد سياسته بالقوة والحزم واتباع خطة عادلة تعمل لمصلحة الناس ما امكنته الظروف فشااع الامن والاستقرار حتى كان الشيء يسقط من الرجل والمرأة في الطريق فلا يجروا احد أن يأخذه من مكانه حتى يعود صاحبه اليه فيجده حيث افتقده وبذلك هابه الناس واحبه الاختيار منهم، وقد اشاد حارثه من بدر الغداني بسياسته قائلاً⁽³⁾:

الا من مبلغ عن زيادا فنعم اخو الخليفة والأمير
اخوك خليفة الله ابن صخر وانت وزيره نعم الوزير
ونتيجة سياسة الحزم التي اتبعها زياد، شعر بعض الخوارج بالخوف منه وعن بقائهم في البصرة، مقتنعين بعدم قدرتهم على اعلان حركتهم وثورتهم في ظل هذا الوالي فخرج عليه في سنة 46هـ/ 666م سهم بن غالب الهجيمي والخطيم الباهلي اللذان سبق وان استأمنها ابن عامر عند خروجها عليه، فخرج سهم الى الاحواز ودعا من هناك وعاث في امن منطقة مع اتباعه فقتل مسلماً لم ينكر ايمانه بينما خلى سبيل

(1) الطبري: تاريخ، 6/ 216، ابن الاثير: الكامل 3/ 305.

(2) سميت بالبتراء، لأنه لم يصلي فيها على النبي (ص) ابو محمد عبد الله بن مسلم المعروف بأبن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/ 889م): عيون الاخبار (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت) م 1/ ج2، 243، تاريخ 5/ 217، ابن الاثير: الكامل 3/ 305.

(3) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 4/ 175، ابن الاثير: الكامل 3/ 307، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر 1/ 196.

يهود صرحوا بيهوديتهم ولقد تجاسر بعدها بالرجوع الى البصرة⁽¹⁾ وعندما تخلى عنه اصحابه، اضطر ان يتخفى فطلب الامان، فلم يؤمنه زياد، وصار يطلبه حتى ادركه فقتله وصلبه على باب⁽²⁾ اما الخطيم الباهلي فقد اظهر الفتنة ايضاً فنفاه زياد الى البحرين ثم «اذن له فقدم، فقال له الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو اضمنه فأبى وقال ان بات عن بيته علمتك ثم اتاه مسلم فقال لم بيت الخطيم الليلة في بيته فأمر به زياد فقتل والقي في عشيرته الباهلة»⁽³⁾ وقتل زياد امرأتين ارادتا الخروج مع الخطيم الباهلي يقال لهما وام سريع فقال رجل يعيب باهلة⁽⁴⁾:

لعمري لقد اخزت اراكه قومهما وما قصدت للدين ام سريع
ومن حاول الخروج على زياد في البصرة حارثة بن صخر القيسي الذي سبق
وان بعثه معاوية الى مصر فالتقى بقوم من الخوارج، وسرعان ما استجاب لآرائهم
وافكارهم فصار خارجياً وحينما رجع الى العراق بدأ يعد امره للخروج على زياد،
وحينما بلغ ذلك زياد طلبه ولكنه هرب الى قضاة، الأمر الذي دفع قضاة الى طلب
الامان له من معاوية فأمنه وكتب الى زياد في الكف عنه فأجابته لذلك⁽⁵⁾. ولما توفي
والي الكوفة المغيرة بن شعبة سنة 50هـ/ 670م⁽⁶⁾ ضم معاوية الكوفة الى زياد، فأخذ

(1) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ق1/148، الطبري: تاريخ، 5/228، ابن الاثير: الكامل 3/454.

(2) ابن خياط: تاريخ 1/192.

(3) الطبري: تاريخ 5/228، محمد حسين الفلاح: البصرة ودورها العسكري والاداري من 14 - 50هـ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1989، ص153.

(4) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ق1/149.

(5) م. ن، ج4/ق1/150.

(6) الطبري: تاريخ 5/234، عمر فروخ: تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية (بيروت، دار العلم للملايين، 1970) ص128.

يقيم في الكوفة ستة أشهر، وفي البصرة مثلها بعد أن يتخلف عليها سمرة بن جندب⁽¹⁾. وكان على زياد أن يصلح أمور الولاية التي خلفها له المغيرة في الكوفة ذلك أن انصار الامام علي (رضي الله عنه) هناك وعلى رأسهم حجر بن عدي الكندي⁽²⁾. الذين كثيراً ما يتعرضون للوالي أو من ينوب عنه كما حدث ما بين حجر بن عدي عمرو بن حريث، حينما كان يخطب في المسجد ولما علم بذلك زياد أسرع بالتوجه إلى الكوفة لكي يضع لهم حداً وبعث أمير الشرطة في استحضار حجر بن عدي، فخاف اشراف الكوفة من قسوة زياد فتخلوا عن تأييده⁽³⁾ وهذا بالطبع سهل على زياد القبض عليه وعلى البقية من أصحابه ثم كتب بأمرهم إلى معاوية فأمره أن يشدهم في الحديد وبعث بهم إليه، وهناك ضرب معاوية أعناقهم⁽⁴⁾.

ويبدو من خلال ذلك أن حجر بن عدي كان يندد سياسة معاوية ويترحم على الخليفة علي (رضي الله عنه) علناً في المسجد، ويجتمع إليه بعضهم خفية ولعله كان يعد لمشروع حركة فقبض عليه زياد مع جماعة من أتباعه فقتلوا في الشام، فاغتازت

(1) أبو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 236، الطبري: تاريخ 5/ 234، ابن الطقطقي: الفخري ص 82.

(2) حجر بن عدي بن معاوية بن جبله بين ربيعة بن معاوية الاكرمين الكندي المعروف بحجر الادبر وحجر الخير، وكان جاهلياً اسلامياً، وقد وفد مع اخيه الى النبي محمد (ص) فشهد القادسية وشهد بعد ذلك الجمل وصفين، وصحب علياً فكان من شيعته حتى أصبح اميراً شريفاً مطاعاً وقد كذب زياد بن ابي سفيان امير العراق وهو يخطب فحصب مره، فكتب به الى معاوية مما اضطر حجر الى مقارعة زياد فعسكر في ثلاثة آلاف بالسلح وخرج عن الكوفة الا ان زياد تمكن منه ثم بعثه في جماعة الى معاوية وحينما بلغ الخبر السيدة عائشة ام المؤمنين، بعثت الى معاوية تسأله ان يخلي سبيلهم الا ان معاوية امر بقتلهم من دون ان يراهم بمرج عذراء. ابن سعد: الطبقات، 6/ 721، ابن حجر العسقلاني: الاصابة م 1/ 64.

(3) البلاذري: انساب الاشراف، ج 4/ 1/ 211، الطبري: تاريخ 5/ 257 - 258، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، 1/ 196.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 256 - 257.

السيدة عائشة من ذلك وانكرت على معاوية قتل حجر، وحينما عوتب على ذلك رد عليهم قائلاً: «أنهم رؤساء الفتنة واني من قتلتم اجتثت الفتنة من اصلها»⁽⁵⁾.

وصار زياد يتتبع اصحاب حجر في كل مكان حتى افناهم، واستطاع بسياسته الحازمة ان يعيد الأمن والاستقرار في الكوفة، وبذلك خيب زياد امال انصار الخليفة علي (رضي الله عنه) في الكوفة الذين ظنوا بأنه سيكون ارفق بهم من المغيرة لكونه كان والياً للخليفة علي على فارس، لكنهم فوجئوا عندما كان يجمعهم في «المسجد ليحرضهم على البراءة من علي (رضي الله عنه)»⁽⁶⁾.

خروج قريب بن مرة الازدي وزحاف⁽⁷⁾ الطائي:

كان هذين عابدين مجتهدين من اهل البصرة، هما ابنا خاله وقد اختلف الناس في ايهما كان الرئيس فيهما⁽⁸⁾ فخرجا بأتباعهما على سمرة بن جندب خليفة زياد في البصرة سنة 50هـ/ 670م في سبعين رجلاً منتهزين فرصة غياب زياد في الكوفة وانشغاله بأحوالها⁽⁹⁾. لم تشر المصادر عن سبب خروجهم وارتأى خروجهما كونهما خارجيين معارضين للخلافة الاموية، فخرجوا يستعرضون الناس ويمارسون القتل والسلب والنهب فقتلوا شيخاً ناسكاً من بني ضبيعة من ربيعة بن نزار، وكان يعرف

(5) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص237، ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ص196.

(6) ابراهيم بن محمد البيهقي (ت320هـ/ 932م) المحاسن والمساوي، (بيروت، دار صادر، 1960) ص54، المسعودي: مروج الذهب 3/35.

(7) زحاف: كشاد من الاسماء التي تعني انه من الزحف أي بمعنى المشي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق عبد الفتاح الحلو (دمشق، 1965) 373/233.

(8) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/198، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/9.

(9) الطبري: تاريخ 5/237، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/9، ابن الغملاس: ولاة البصرة ومستلموها من تأسيس البصرة حتى نهاية الحكم العثماني (14/1333هـ) (بغداد، دار بصري، 1962) ص7.

برؤية الضبعي ضناً منهم انه من الشرطة ثم جعلاً لا يمران بقييلة الا قتلا من وجدا فيها⁽¹⁾.

ويذكر بعض المؤرخون «ان قريب وزحاف خرجا من البصرة مع اعوانهما من الخوارج واغتالوا عدداً كبيراً من شرطتها ومضوا الى الجامع الكبير فقتلوا خلقاً كثيراً»⁽²⁾. بعد ان احكموا ابواب المسجد فلم يبق الا من استطاع الهرب، ثم بعدها توجهوا الى رجة بني علي، وكان اكثرهم من الرماة فرموهم بالنبال وكان قريب وزحاف قد تواعدوا مع الخوارج عند مقبرة بني شكر لينفذوا الى مزينة فلم توافيهم، فتتبعهم افراد من بني علي وبني راسب وخرجت اليهم بنو طاحية بن سود وسكان مزينة، فتقابلوا مع الخوارج حتى قتلوهم عم اخرهم⁽³⁾ وقتلوا قريباً وزحافاً ايضاً⁽⁴⁾. ولما ازدادت الأمور تدهوراً في تلك المنطقة ارسل سمرة بن جندب الى زياد يعلمه امرهم مما اجبر زيادة في العودة الى البصرة، فوصل غاضباً وقام خطيباً «يا اهل البصرة، ما هذا الذي قد اشمتمت عليه؟ اني اعطي الله عهداً لا يخرج علي خارجي بعدها فادع من حيه وقبيلته احداً، فاكفوني بوائقكم»⁽⁵⁾. فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا له. ويبدو ان زياداً خص الأزدي بوعيده، حين قال لهم «يا معشر الازد! لو انكم اطفأتم هذه النار لقلت انكم ارثتموها»⁽⁶⁾. فأخذت القبائل قول زياد على محمل الجد فاذا

(1) البلاذري: انساب الاشراف ج4/4/1/151، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/198، ابن خلدون: تاريخ 3/143.

(2) ابن خياط: تاريخ 1/207، اليعقوبي: تاريخ 2/220.

(3) ابن خياط: تاريخ 1/20 وما بعدها، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/199، الطبري: تاريخ 5/283، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/9.

(4) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 3/9، معروف: الخوارج ص86.

(5) اليعقوبي: تاريخ 2/220.

(6) الطبري: تاريخ 5/238.

احسنت بخارجي بينهم شدت وثاقه وجيء به الى زياد⁽¹⁾. ولم تكن القبائل وحدها قد استنكرت خروجهما فحسب، بل ان بعض زعماء الخوارج امثال ابي بلال مرداس بن ادية الذي استنكر خروج صاحبيه قائلاً «قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه، ركبها عشواء»⁽²⁾. اذ استنكر استعراضهما للناس وقتلهم، بعد هذا الحادث اشتد زياد وعامله سمرة بن جندب على الخوارج، فأخذ يلاحقهم، وأمر عامله سمرة بن جندب بقتلهم ان ظفر بهم فقتل خلقاً كثيراً⁽³⁾. ومنهم جارية كانت تترحم على قريب وزحاف بقولها «سلام الله ورحمته عليكم طبتم فادخلوها خالدين فأمر بها زياد فقتلت معهم»⁽⁴⁾. والزم قبائل البصرة بمطاردتهم والقضاء عليهم بل راح اكثر من ذلك حينما هددهم بقطع عطاءهم ان افلت منهم الخارجي بقوله «اي خارجة خرجت على قبيلة فلم تقاتلها كما فعلت بنو راسب حرمتهم العطاء واجليتهم»⁽⁵⁾. فاستجاب القبائل لما دعاهم زياد اليه في قتل الخوارج الموجودين بينهم ممن ظهر امرهم⁽⁶⁾.

وهكذا فإن السياسة الحازمة التي اتبعها زياد تجاه الخوارج والى الاجراءات الامنية المتشددة التي اوجدها في تلك المنطقة واستنكار اهالي البصرة لأفعال الخوارج العنيفة كانت وراء مقاومتهم للخوارج، الأمر الذي جعل القبائل وزعمائها مسؤولين عن القضاء على حركاتهم وازاء ذلك نجد ان نشاط الخوارج في ايام زياد قد ضعف، ولم يقتصر تشدد زياد على رجال الخوارج فحسب بل تعداه الى نساءهم،

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 199.

(2) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق1/ 151، الطبري: تاريخ 50/ 138، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 9.

(3) ابن خياط: تاريخ 1/ 210، الطبري: تاريخ 5/ 238.

(4) البلاذري: انساب الاشراف ج4/ ق1/ 152.

(5) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق1/ 152.

(6) الطبري: تاريخ 5/ 238.

وحدث مرة ان اخرج الخوارج معهم امرأة، فظفر بها زياد فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد ذلك في ايامه وكن اذا دعين الى الخروج قلن «لولا التعرية لسارعنا»⁽¹⁾. ولا شك فأن اسلوب التشهير بالمرأة على هذا النحو يبدو في غاية البشاعة لكنه حد من وجود النساء في معسكر الخوارج الذي كان له اثر في اذكاء روح الحماسة وشحذ عزائمهم. وهكذا استطاع زياد بن ابي سفيان طول سني ولايته ان ينشر الامن والاستقرار في الكوفة والبصرة والتي عبر عنها في رسالته الى معاوية قائلاً فيها: «دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها، وغثها وسمينها، وحملت اليك لبتها وقشورها»⁽²⁾.

ج - الخوارج في ولاية عبيد الله بن زياد (55 - 64هـ):

بعد وفاة زياد بن ابي سفيان سنة 53هـ/ 673م ولى معاوية سمرة بن جندب على البصرة⁽³⁾ وكان قد تولاها سابقاً - كما ذكرنا - الا انه سرعان ما عزله وولاهها عبد الله بن عمرو بن غيلان لسته اشهر فعزله ايضاً ثم استعمل عبيد الله بن زياد في سنة 55هـ/ 674م وظل والياً له على البصرة طوال خلافته⁽⁴⁾. حاول زياد في بداية امره استمالة الخوارج فبدأ بمهادنتهم واطلق سراح الكثير من المسجونين ايام ابيه⁽⁵⁾. وكان يرمي من سياسته هذه الى تهدئة الاوضاع واستقرار الأمور في البصرة، لكن الخوارج عاودوا نشاطهم وبالغوا في ادامة العنف والبطش من جهة واثارة الفوضى

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 199.

(2) ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيري (ت 231هـ/ 942م): الوزراء والكتاب، (القاهرة، مطبعة الباب الحلبي، 1938) ص 27.

(3) ابن خياط: تاريخ 1/ 26، الطبري: تاريخ 5/ 288.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 300.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 210، عاصم اسماعيل كنعان العباسي: الخلافة الاموية (41 - 60هـ) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، بغداد، 1995، ص 152.

والاضطرابات من جهة أخرى، فبدأت اجتماعاتهم السرية تعقد في دار رجل اسمه جدار، فكانوا يناقشون أمور بني أمية منتقدين سياستهم وسلطانهم وحينما علم ابن زياد بتجمعاتهم، أمر باعتقالهم وزجهم في الحبس، وسرعان ما بادرت إلى ذهنه خطة يسعى بها التخلص منهم بإثارة الفتنة والفرقة بينهم، فما لبث أن جعل خطته موضع التنفيذ فعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، على أن يخل سبيل المقاتلين منهم⁽¹⁾ فعملوا بما أشار به ولم يفكروا إلا أن يسرع الواحد منهم بالقضاء على الآخر، لأجل التخلص من قبضة ابن زياد ونجحت خطته حينما قتل الخوارج اخوانهم اذ بلغ عددهم اثني عشر رجلاً وكان ممن قتل طواف بن غلاق واوس بن كعب ولكن سرعان ما ندموا واخذ اصحابهم يوجهون لهم اللوم فقال لمن لا مهم «قد اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان»⁽²⁾. ويبدو أن الخوارج اشتد بهم الغضب لدرجة قتل كل من يحاول أن ينعتهم بالسوء أو يكون مناوراً لهم، فذكر البلاذري «أن حجيرة الباهلي أتى الحي وقد اصابه نضح دم من دماء الخوارج المقتولين فقليل له ما هذا فقال قُتل الأمير اليوم هؤلاء الكلاب فأصابني من دمائهم فأتى عقبة بن الورد الباهلي منزله واشتمل على سيفه وكان يرى رأى الخوارج فحكم وقتل حجيرة»⁽³⁾. وبذلك فإن حادثة قتل اخوانهم تركت أثراً كبيراً في نفوس الخوارج فراحوا يكفرون عن فعلتهم هذه فعرضوا على أولياء من قتلوا الدية والقود، فأبوا قبولهم، بعدها توجههم إلى أحد مجتهديه الهثالث بن ثور السدوسي سائلين إياه «أما ترى لنا من توبة»⁽⁴⁾. والتكفير عما فعلنا بإخواننا فوجد لهم آية في القرآن تبرر خطيئتهم، في قوله

-
- (1) ابن الأثير: الكامل 516/3، ابن خلدون: تاريخ 144/3، يوليوس ولهاوزن: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958) ص 63.
 (2) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ق1/154، ابن الأثير: الكامل، 516/3.
 (3) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ق1/154.
 (4) ابن الأثير: الكامل 517/3.

تعالى «ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم»⁽¹⁾ فقرروا من بعدها العمل بالآية الكريمة واستئناف القتال ضد عبيد الله بن زياد، فدعا طواف اصحابه الى الخروج سنة 58هـ/ 677م، بعد ان بايعوه وكانوا في بني عبد القيس، ولكنهم عندما علموا بأن احدهم اخبر ابن زياد عجلوا بالخروج، فبدأوا يستعرضون الناس فقتلوا رجلاً من بني ضبيعة فأرسل ابن زياد في اثرهم الشرطة فقاتلوه حتى تمكن من قتل عدد منهم، فلم يبق معه سوى ستة انفس، وما زالت الشرطة تلاحقه حتى «عطش فرسة فأحتمله فأقحم به الماء فرماه الشرطة بالشباب حتى تمكنوا من قتله، فأمر به ابن زياد فصلب»⁽²⁾ جسده في عيد الفطر من سنة 58هـ/ 678م.

فقال الشاعر⁽³⁾:

يارب هب لي التقي والصدق في ثبت واكف الهم فانت الرازق الكافي
حتى ابيع السبي تفنى بأخرة تبقى على دين مرداس وطواف
ويسرد البلاذري انه بعد قتل طواف، بدأوا ينظمون اجتماعاتهم في بيوت احد اخوانهم من الخوارج «فاذا اتاهم رجل ليس منهم قالوا له يا عبد الله الحق بأخوالك»⁽⁴⁾.

وبذلك ادرك ابن زياد ان السياسة التي اتبعها معهم لم تجد نفعاً، وان القضاء على حركات الخوارج لا يتطلب الا الشدة والعنف، فتشدد في ملاحقة الخوارج فقتل

(1) سورة النحل، آية 110.

(2) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ 1ق/ 154.

(3) ابن الاثير: الكامل 3/ 517.

(4) انساب الاشراف، ج4/ 1ق/ 155 - 156.

اعداداً كثيرةً منهم وامتلاأت سجون البصرة بهم، وقد فاق سياسته هذه تشدد ابيه⁽¹⁾.

خروج ابي بلال مرداس بن ادية التميمي⁽²⁾:

كان عروة بن ادية قد لقي عبيد الله بن زياد، فأظهر له مناصحته عندما تلا عليه من قوله تعالى «اتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين»⁽³⁾ فظن ابن زياد انه لم يتجرأ ان يقول هذا ان لم يكن له اعوانه فغضب ابن زياد ثم ما لبث حتى طلبه، فهرب عروة الى الكوفة، فظل ابن زياد يتعقبه حتى ادركه في الكوفة سنة 58هـ/ 677م فأمر بقتله، فقطعت يده ورجلاه وحينما سأله ابن زياد «كيف ترى؟ قال أرى انك افسدت دنياي وافسدت اخرتك فقتله ثم أرسل بطلب ابنته فقتلها ايضاً»⁽⁴⁾.

اما اخوه مرداس بن ادية فقد كان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج، ولهذا كان ينكر استعراض الناس واشتراك النساء في الحروب، وعندما تشدد ابن زياد في طلب الخوارج، فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وورعه وصدقه⁽⁵⁾. فأستطاع ان ينال الأذن من السجنان في ان ينصرف في الليل الى بيته لرؤية اهله فاذا طلع الفجر رجع الى السجن، وكان لمرداس صديق يسامر ابن زياد، فذكره هذا في ليله بعزمه

(1) الطبري: تاريخ 5/ 524، محمد حسين الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري، (القاهرة، المطبعة العالمية، 1970) ص272.

(2) ابو بلال مرداس بن حدير بن عمرو بن عبيد بن كعب احد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، ويقال له مرداس بن ادية، ولقد شهد مع الخليفة علي صفين فانكر التحكيم وشهد مع الخوارج النهروان وكانت الخوارج كلها تتولاه، البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ 156/ ق1.

(3) سورة الشعراء آية 128 – 130.

(4) يوسف بن محمد بن ابراهيم البياضي الانصاري (ت653هـ/ 1255م): الاعلام في الحروب الواقعة في صدر الاسلام (القسم الاول) مخطوطة مصورة عن دار الكتب المصرية في المجمع العلمي العراقي تحت رقم (1) عسكري، ورقة 77 ب.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 201، الطبري: تاريخ 313/ 5.

على قتل الخوارج اذا أصبح، فأنطلق صديق مرداس اليه فأخبره بعزم ابن زياد على قتل الخوارج⁽¹⁾ فسمع بذلك مرداس فعندما بلغ صاحب السجن الخبر بات ليله قلقاً، خوفاً من ان يعلم مرداس الخبر فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي يرجع فيه، اذ به اقبل الى السجن، فقال له السجنان «هل بلغك ما عوم عليه الأمير؟ قال، نعم: قال ثم غدوت؟ قال: نعم، لم يكن جزاؤك مع احسانك ان تعاقب بسبي»⁽²⁾. وما ان اشرق الصباح حتى بدأ عبيد الله بتنفيذ ما عزم عليه بقتل الخوارج، وحينما حضر مرداس، وثب السجنان قائلاً «هب لي هذا.. فوهبه له واطلقه»⁽³⁾. بعد ان قص له قصته، بينما قتل الآخرين ولكن سرعان ما نلاحظ خروج مرداس متحدياً السلطة الاموية مع نفر من اصحابه، ويعزو البلاذري سبب خروجه الى قتل ابن زياد لأحدى مجتهدات الخوارج تدعى البلجاء، كانت تخطب خطباً مثيرة ضد عبيد الله والخلافة الاموية، ولما علم ابو بلال ان ابن زياد سيأخذ بأمرها سارع الى بيتها يحذرهما منه، طالباً منها ان تستتر في بيتها، الا انها ابت ان تخفي امرها فأمر بها ابن زياد فقطع يديها ورجليها ورمى بها في سوق البصرة، وحينما رآها ابو بلال، قال لنفسه «ولهذه اطيب نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس»⁽⁴⁾.

لقد ترك مقتل البلجاء أثراً كبير في نفس ابي بلال اكثر من مقتل اخيه، فقد ضاقت به الدنيا، فلم تعد له القدرة على العيش في البصرة ومشاهدة الكثير من الحوادث التي تحل بالخوارج رجالاً ونساء فقال لأصحابه «انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين»⁽⁵⁾. فخرج ابو بلال في اربعين رجلاً الى الاحواز سنة 60هـ/ 679م، حتى

(1) الطبري: تاريخ 5/ 313، البيهقي: الاعلام، ورقة 78 أ.

(2) الطبري: تاريخ 5/ 313، ولهاوزن: الخوارج والشيعة ص 65.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 313، البيهقي: الاعلام، ورقة 78 أ.

(4) انساب الاشراف ج4/ ق1/ 157.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 202.

نزل آسك⁽¹⁾ الا انه لم يتعرض لأحد، ولم ينل من الخراج الا ما يستحق⁽²⁾ اذ ذكر المبرد «فمر به مالاّ يحمل لأبن زياد.. فحظ ذلك المال فأخذ منه عطاءه واعطيات اصحابه ورد الباقي على الرسل وحينما سئل لماذا يدع الباقي؟ رد عليه قائلاً: انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم»⁽³⁾ ولكن على الرغم من تصرفات ابي بلال التي تدل على الورع ووجهه للسلم والاحتفاظ بتقواه وعقيدته، الا ان هذا لم يثن ابن زياد عن عزمه على مطاردته وقتله، فأرسل اليهم جيشاً بقيادة ابن حصن التميمي، وكان عدد الخوارج حينها اربعين فقط⁽⁴⁾ فأنهزم ذلك الجيش امام هذا العدد القليل لذا فأن مقاومة ابي بلال عن نفسه وبنجاح كان امراً يثير الغرابة على الرغم من قلة جماعته، وبذلك يقول شاعر الخوارج عيس بن فاتك التميمي⁽⁵⁾:

أألفاً مؤمن منكم زعمتم ويهزمهم بأسك اربعونا
كذبتهم ليس ذلكم كذابكم ولكن الخوارج مؤمنونا
وهم الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ينصرونا
فأرسل عبيد الله جيشاً آخر عدته ألفاً رجل عليه اسلم بن زرعة الكلابي فأنهزم
امام مرداس⁽⁶⁾ وكان سبب فشل اسلم في مقاومته للخوارج راجعاً الى تعاطفه معهم،

(1) آسك: بلد من نواحي الاحواز، قرب ارجان ما بين ارجان ورامهرمز، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 53/1.

(2) ابن خياط: تاريخ/ 251، شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الاموي، ط3 (القاهرة، دار المعارف، 1965)، ص89.

(3) الكامل في اللغة والادب 2/ 202 - 203.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 314، جاسم صكبان علي: دراسات في التاريخ العربي (الموصل، جامعة الموصل، 1985) ص127.

(5) الطبري: تاريخ 5/ 314، ابن الاثير: الكامل 3/ 361.

(6) الطبري: تاريخ 5/ 471، التويري: نهاية الارب 20/ 482، ابن قتيبة الدينوري: عيون الاخبار م1/ ج2/ 163.

اذ يذكر البغدادي مدى تعاطف اسلم مع الخوارج حينما قال لهم «انتم على الحق ولكن نخاف ابن زياد ان يسقط عطاءنا فلا بد من قتالكم»⁽¹⁾. فغضب عليه ابن زياد غضباً شديداً بقوله «ويلك اتمضي في الفين فتعزم بحملة اربعين»⁽²⁾.

فبعث ابن زياد قوات جديدة عدتها أربعة آلاف عليهم عباد بن الاخضر التميمي واتبعه حتى تمكن من الالتقاء بهم في توج⁽³⁾ وقد حاول ابو بلال عبثاً ان ينحى عباد عن قتالهم حينما قال له «ان ترجع فأنا لا نخيف سييلاً ولا نذعر مسلماً ولا نحارب الا من حاربنا ولا نحمي الا ما حمينا»⁽⁴⁾ الا ان عباد لم يصغ له فأستغل وقت الصلاة فهجم عليهم وتمكن من قتل جميعهم، وعندها رجع عباد بن الاخضر مع جيشه الى البصرة حاملاً رأس ابي بلال⁽⁵⁾.

كانت حركة ابي بلال انموذجاً معتدلاً من حركات الخوارج، فكانت حركة دينية لما كان فيها من موقف غير عنيف تجاه المسلمين فكان هذا عاملاً في جذب الكثير الى صفوف الخوارج حتى ان الخوارج من بعده بقوا على المبادئ التي تبناها ابو بلال حتى ظهور الازارقة⁽⁶⁾. على ان الخوارج بعد حركة ابي بلال ظلوا منكمشين على انفسهم بسبب شدة الولاة عليهم، ولكن في الوقت نفسه لجأوا الى اسلوب آخر في مقاومة الخلافة الاموية يتمثل بأنهم كانوا يغتالون الاشخاص الذين يتعرضون إليهم

(1) الفرق بين الفرق، ص 55.

(2) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق1/ 158 - 159، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 204، البياسي: الاعلام، ورقة 80 أ.

(3) توج: مدينة بفارس من كازرون، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 56.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 205، الطبري: تاريخ 5/ 471، النويري: نهاية الارب 482/ 20.

(5) الطبري: تاريخ 5/ 471، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 9، النويري: نهاية الارب 482/ 20.

(6) الطبري: تاريخ 5/ 567، البياسي: الاعلام، ورقة 49 ب.

ويعارضون أفكارهم، حتى ان الشرطة بدأوا يتحاشون قتل افراد الشرطة لأنه قتل عباد السدوسي من عباد الخوارج ونسأهم⁽¹⁾. فعجز عبيد الله بن زياد عن ذلك بقوله «ما ادري ما اصنع بهؤلاء الخوارج كلما امرت بقتل رجل منهم، اغتالوا قاتله»⁽²⁾.

وكان لهذه الحادثة آثار سلبية في عامة الناس فقد اثارت الفرع والرعب في نفوسهم حتى ان غيلان بن خرشه الضبي قد انتقصهم مرة في مجلس الامارة فلقية احد زعماء الخوارج محذراً إياه بقوله «ما يؤمنك ان يلقيك رجل منهم احرص والله على الموت منك على الحياة فقال غيلان: لن يبلغك اني ذكرتهم بعد الليلة»⁽³⁾. واستمر الخوارج في اثاره الرعب بمقتل عباد بن الاخضر الذي قتل ابا بلال في توج⁽⁴⁾. كما قتل ثابت بن وعله الراسبي الذي كانت له منزلة وشأن كبير بين الخوارج، اثنان من خصومهم حينما تذكر اخوانه الذي قتلهم عبيد الله⁽⁵⁾ ان هذه الاعمال التي قام بها الخوارج جعلت زياداً وابنه عبيد الله يتشددون في مطاردتهم بعنف شديد وقسوة متناهية تمثل ذلك بقتل سجناء الخوارج في حبسهم، بل كانا يقتلان ويسجنان لمجرد التهمة والظن⁽⁶⁾ ويدل على ذلك مدى سياسة عبيد الله الحازمة عندما قتل عباد بن الاخضر وكان حينها في الكوفة، وعندما علم بالأمر كتب الى خليفته عبيد الله بن ابي بكرة «ان لا يدع احداً يعرف بهذا الرأي الا حبسه، فأخذ ابن ابي بكرة يتتبعهم ويأخذهم، فاذا شفع اليه احد منهم كفله الى ان يقدم ابن زياد الى البصرة، وحينما قدم، اخذ ما في السجن وقتلهم جميعاً وطلب الكفلاء بن كفلاوا به منهم فكل من جاءه بصاحبه اطلقه

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 219.

(2) م. ن، 2/ 219.

(3) م. ن، 2/ 177.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 471، النوري: نهاية الارب 20/ 482.

(5) البلاذري: انساب الاشراف ج4/ ق1/ 94.

(6) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص279، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 204.

وقتله الخارجي ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله⁽¹⁾ حتى كاد ان يقتل خليفته عبيد الله بن بكره لأنه كفل عروة بن ادية، ولم يطلقه الا حينما وجد عروة بن ادية، فقتله⁽²⁾. وعن ذلك ذكر الطبري «ان زياداً وابنه قتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً، وحبس عبيد الله اربعة آلاف»⁽³⁾ وعلى الرغم من ذلك ظل عبيد الله بن زياد يتأسف لعد قتله جميع الخوارج الموجودين في سجنه عندما قال «ما عملت بعد كلمة الاخلاص عملاً هو اقرب الى الله عندي من قتلي من قتلت من الخوارج.. ويقول ليتني كنت اخرجت اهل السجن فضربت اعناقهم»⁽⁴⁾. وبذلك كان ابن زياد قد اتبع سياسة ابيه في مقارعة الخوارج، بل انه اشد منه فتكا بهم ولهذا لم يشككوا خطراً على ولايته في ايام معاوية، وعلى الرغم من ذلك لم تفتقر عزيمة الخوارج في المقاومة بهدف تقويض نظام بني امية والعمل على اضعافه، سواء كان ذلك في عهد معاوية بن ابي سفيان ام خلفائه من بعده.

د - الخوارج وحركة عبد الله بن الزبير:

الفترة الممتدة ما بين (60 - 73 هـ/ 679 - 692 م) اضطرب العالم الاسلامي بشكل عام واطواضاع البصرة بشكل خاص، ففي سنة 60 هـ/ 679 م، اعلنت البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد⁽⁵⁾ وعارض توريث الخلافة جماعة يمثلون المبدأ الاسلامي ولا يقرون بمبدأ التوريث ومن هؤلاء عبد الله بن الزبير والحسين بن علي فسرعان ما خرج عبد الله بن الزبير بعد وفاة معاوية الى مكة وتحصن هناك في البيت الحرام سنة

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 208.

(2) م. ن 2/ 208 - 209.

(3) تاريخ 5/ 524.

(4) ابن الاثير: الكامل 3/ 474.

(5) الطبري: تاريخ، 5/ 322، المسعودي: مروج الذهب 2/ 36.

60هـ/679م⁽¹⁾. وفي سنة 61هـ/680م، خرج الامام الحسين بن علي (عليه السلام) الى الكوفة بناء على طلب انصار الامام علي (رضي الله عنه) الذين تجمعوا بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي⁽²⁾ وعلى الرغم من نصيحة بعض الصحابة له كعبد الله بن عباس الا انه لم يستمع له فتوجه الى العراق فكانت فاجعة كربلاء التي استشهد فيها الامام الحسين في 10/ محرم سنة 61هـ/680م⁽³⁾ وبهذا خلا الجو لأبن الزبير لتحقيق طموحه في الخلافة فسرعان ما أعلن خلع يزيد، وأعلن البيعة لنفسه سنة 63هـ/682م⁽⁴⁾ وحالما سمع بذلك يزيد أرسل قواته لمواجهته بقيادة حصين بن نمير السكوني، ففرضوا الحصار عليه⁽⁵⁾ الا ان وفاة يزيد بن معاوية في سنة 64هـ/682م، حال دون ذلك الحصار، فعاد الجيش الى الشام⁽⁶⁾ وبويع معاوية بن يزيد بالخلافة الذي كان زاهداً فيها فلم يمكث اربعين يوماً حتى توفي، فلم يعهد لأحد من بعده بالخلافة، فأرادها ان تكون شورى بين المسلمين⁽⁷⁾ وبمبايعة مروان بن الحكم سنة

(1) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص244، الطبري: تاريخ 5/ 351، المسعودي: التبيين والاشراف، ص262-263، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، ط1 (بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1972)، ص43.
William Muir. C. SL. Annals of the Early Caliphate (London, 1883). P444.

(2) اليعقوبي: تاريخ 2/ 229، الطبري: تاريخ 5/ 347، المسعودي: مروج الذهب 2/ 64.
(3) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، 257، الطبري: تاريخ 5/ 382، المسعودي: مروج الذهب 2/ 64.

(4) اليعقوبي: تاريخ 2/ 234، نضال حميد سعيد صالح، مروان بن الحكم واثره في السياسة الاموية (رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد 1993) ص107.

(5) ابن قتيبة الدينوري: المارف، ص351، اليعقوبي: تاريخ 2/ 238.

(6) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال 277-278، اليعقوبي: تاريخ 2/ 238، وما بعدها، الطبري: تاريخ 498/ 5، المسعودي: مروج الذهب 80/ 2-81.

(7) الطبري: تاريخ 5/ 503، المسعودي: مروج الذهب 2/ 82، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت911هـ/1505م) تاريخ الخلفاء، محمد محي الدين عبد الحميد، ط1 (القاهرة، المكتبة التجارية، 1952) ص211، ابو الفضل محمد بن علي الحموي: التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان عن بشره ووضع فهارسه بطرس

65هـ/684م، انقسم العالم الاسلامي بين خليفة الشام وخليفة الحجاز الا ان ابن الزبير استطاع الحصول على تأييد وبيعة العراقيين بعد حين، وكان مركز عبيد الله بن زياد قد ضعف وفشل في مواجهة التوابين في الكوفة في معركة عين الورد سنة 65هـ/684م⁽¹⁾. وفي سنة 66هـ/685م، استطاع الشيعة السيطرة على الكوفة وانتزاعها من سيطرة الزبير بقيادة المختار بن ابي عبيدة⁽²⁾ الا ان مصعب بن الزبير استولى عليها سنة 67هـ/686م بعد موقعتي المذار⁽³⁾ وحروراء⁽⁴⁾. فما كان على مصعب بن الزبير الا مواجهة عبد الملك بن مروان في موقعة مسكن سنة 73هـ/692م⁽⁵⁾ وبذلك اصبح العراق خاضعاً لسيطرة الامويين. اما البصرة فقد تدهورت اوضاعها بعد وفاة يزيد، مما ادى الى اضطرابات سياسية وتناحرات قبلية كان لها اثر كبير في ظهور الازارقة في البصرة، ذلك ان امير المصريين عبيد الله بن زياد فقد السيطرة على الاوضاع في البصرة، فصار عبيد الله «يأمر الأمر فلا يقضي ويرى الرأي فيرد عليه، ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين اعوانه وبينه»⁽⁶⁾. ازاء هذا الوضع قرر عبيد الله ان يترك دار الامارة ويستجير بالأزد عند زعيمها مسعود بن عمرو العتكي، وازداد الوضع سوءاً عند مقتل زعيمها، فنتجت من ذلك نزاعات قبلية خطيرة بين الازد وبيعة وبين تميم⁽⁷⁾ اثرت

غرياز نيوج (موسكو، دار النشر للآداب الشرقية، 1960) ص 51.

(1) انظر تفاصيل حركة التوابين، الطبري: تاريخ 5/ 551 – 563.

(2) انظر تفاصيل حركة المختار، الطبري: تاريخ 6/ 6 – 38، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/ 47.

(3) الطبري: تاريخ 6/ 6 – 92، ابن الاثير: الكامل 4/ 66، هند غسان ابو الشعر: حركة المختار بن

ابي عبيدة الثقفي، (جامعة الاردن، 1983)، ص 18 وما بعدها.

(4) الطبري: تاريخ 6/ 99 – 101، ابن الاثير: الكامل 4/ 71.

(5) الطبري: تاريخ 6/ 151 – 152، ابن الاثير: الكامل 4/ 126، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 214

– 215.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 225، الطبري: تاريخ 5/ 507.

(7) البلاذري: انساب الاشراف ج4/ ق2/ 98، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 225.

Dr. Naji Hasan Hadi, Role of the Arab Tribes in the East during the period of Umayyad

في الوضع الأمني في المنطقة لدرجة «المرأة كانت تؤخذ من الطريق فلا يمنعها احد حتى تفصح»⁽¹⁾.

ازاء هذه الاوضاع التي تدهورت خلال هذه المدة وجد الخوارج متنفساً لتحقيق اهدافهم فبعد سياسة التشدد التي اتبعها ابن زياد تجاههم لم يجد الخوارج فرصة لتحقيق ما يريدونه في البصرة، عندها قرروا التوجه الى ابن الزبير في مكة ومساندته في حركته القائمة ضد الحكم الأموي، فرحب بهم ابن الزبير واطفر لهم في بداية الأمر انه على رأيهم⁽²⁾. ويبدو ان ترحيبه لم يكن الا رغبة في كسب مساعدتهم. ولما عوتب على ذلك علل بقوله «لو شايعتني الترك والديلم على قتال اهل الشام لشايعتها»⁽³⁾. وحينما ادرك الخوارج غاية ابن الزبير ورفضه لمطالبهم ومخالفته لأرائهم تبرأوا منه، فأجابهم «برئ الله منكم يا اعداء الله»⁽⁴⁾. وعندها تفرقت الخوارج وكان من بينهم نافع بن الأزرق الحنفي وعطية بن الأسود وعبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز التميمي السلطيون (عبد الله، وعبيد الله، والزبير) وعلى رأسهم حسان بن يخرج⁽⁵⁾ وحينما نظروا في أمورهم أمروا عليهم نافع بن الأزرق⁽⁶⁾ في حين توجه ابو طالوت سالم بن مطر وعبد الله بن ثور ابو فديك

(101 - 100 p) (University of Baghdad, 1978) (749 - 132 - 600 - 40)

(1) الطبري: تاريخ 5/ 528.
(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 221، الطبري: تاريخ 5/ 464، البياسي: الاعلام، ورقة 48، النويري: نهاية الأربالارب 20/ 522، المرصفي: رغبة الامل 7/ 221، د. قحطان عبد الستار الحديشي: الدولة العربية في العصور العباسية المتأخرة (البصرة، مطبعة جامعة البصرة د. ت) ص 153.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 225.
(4) الطبري: تاريخ 5/ 566، البياسي: الاعلام، ورقة 49 ب، النويري: نهاية الارب، 20/ 522.
(5) البلاذري: انساب الاشراف ج4/ ق2/ 96، الطبري: تاريخ 5/ 566.
(6) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 279، المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 225، الطبري: تاريخ 5/ 567، النويري: نهاية الارب 20/ 522، المرصفي: رغبة الامل 7/ 229.

وعطية بن الاسود الشكري الى اليمامة، الا انهم سرعان ما خلعوا ابا طالوت مبايعين من بعده نجدة بن عامر الحنفي⁽¹⁾ ولا بد ان يكون سبب اختيارهم لليمامة هو عزلتها وتدمير اهلها وحضاراتها القديمة وثروتها، ولعل للشعور القبلي اثر في ذلك وانهم من عشائر اليمامة⁽²⁾.

اما الازارقة فحينما وصلوا الى البصرة قبض عليهم عبيد الله بن زياد فأودعهم الى السجن وبقوا فيه حتى وفاة يزيد بن معاوية، وعندما ضعف شأن عبيد الله بن زياد في البصرة⁽³⁾ تمكن الخوارج من الخروج من السجن بعد ان كسروا ابوابه، وبشكل جماعي، وفي الواقع ان انشغال اهل البصرة في مشاكلهم الداخلية، كان عاملاً مساعداً لخروج الخوارج واندفاعهم للثورة، وان اختلف السبب في خروجهم من السجن، فيذكر البلاذري ان اهل البصرة بعد ان بايعوا عبيد الله ابن زياد قالوا «اخرج لنا اخواننا، وكانت السجون مملوءة بالخوارج»⁽⁴⁾ في حين يذكر الطبري «انهم خرجوا من السجن بعد ان كسروا ابوابها»⁽⁵⁾. وائياً كان السبب، ففي كل الاحوال كانت النتيجة واحدة، فبخروجهم تفاقم امرهم وشجع عدداً كبيراً من اهالي البصرة بالانضمام إليهم⁽⁶⁾ فأتخذ الخوارج بعد خروجهم المبرد معسكراً لنشاطهم المعارض⁽⁷⁾ فخرج

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 227، الطبري: تاريخ 5/ 566، النويري: نهاية الارب 523/ 20.

(2) عبد الرحمن عبد الكريم النجم: البحرين في صدر الاسلام (بغداد، دار الحرية للطباعة، 1973) ص 129.

(3) البلاذري: انساب الاشراف ج4/ 4ق/ 52.

(4) انساب الاشراف، ج4/ 4ق/ 116.

(5) تاريخ 5/ 567.

(6) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، 279، د. علي حسني الخربوطلي: الدولة العربية الاسلامية (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1960) ص 270.

(7) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ 4ق/ 117.

نافع يستعرض الناس، وقد اندفع بنشاطه هذا على اثر حادثة وقعت له والتي جعلته اكثر استعراضاً للناس واندفاعاً لنشاطه الخارجي وكان ذلك حينما اقبل عليه احد مجتهدي الخوارج وهو ابو الزراع الراسبي، وكان نافع حينها يخطب في اصحابه ويحرضهم على الجهاد فقال له «يا نافع لقد اعطيت لساناً صارماً وقلباً كليلاً، فلو ودت ان صرامة لسانك كان لقلبك وكلالة قلبك كانت للسانك، اتمضي على الحق وتبعد عنه وتقيح الباطل وتقيم عليه؟»⁽¹⁾. بل راح بنفسه يستعرض الناس حتى قتل في بني يشكر، فلما رأى ذلك نافع جد في نشاطه مع الخوارج فأشاعوا الاضطراب في البصرة، وقتلوا مسعود بن عمر العتكي، فكان ذلك سبباً في قيام النزاعات القبلية في البصرة⁽²⁾ ويبدو ان نافعاً حينما رجع الى البصرة كان متمسكاً بآراء ابي بلال حتى وقوع تلك الحادثة وتأثره بها⁽³⁾

على اثر هذه الاضطرابات التي اثارها الخوارج في البصرة شعر البصريون بخطرهم عندما تناسوا خلافاتهم وتراضوا فيما بينهم، واتحدوا لمحاربتهم، بعد ان اصلحوا على تولية عبد الله بن الحارث القرشي⁽⁴⁾ فخرج على اثر ذلك نافع بن الازرق بثلاثمائة رجل من اتباعه الى الاحواز في آخر شهر شوال سنة 64هـ/ حزيران 684م⁽⁵⁾

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 221، الطبري: تاريخ 5/ 567، البياسي: الاعلام، ورقة 50 أ.

(2) البلاذري: انساب الاشراف، ج4/ ق2/ 116، الطبري: تاريخ 5/ 567، المرصفي: رغبة الامل 7/ 231، احسان النص: العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي (القاهرة، دار القنطرة العربية للترجمة والنشر د. ت) ص308.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 567.

(4) الطبري: تاريخ 5/ 567، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 12 - 13، المرصفي: رغبة الامل 7/ 242.

(5) الطبري: تاريخ 5/ 567 - 568.

واقام هناك، بعد ان طرد عمال الخليفة عنها⁽¹⁾. واطهر نافعاً واتباعه نشاطاً واسعاً وتشددوا وغالوا في مبادئهم على غرار الجماعات التي يتزعمها عبد الله بن اباض وعبد الله بن صفار الذين بقوا في البصرة ولم يظهروا فيها أي نشاط خارجي، بل راح نافع بن الازرق يكاذبهم، ولكنهم لم يستجيبوا له لخلاف حصل بينهم في الرأي⁽²⁾ اما النجدات فيذكر البغدادي ان نجدة بن عامر حاول اللحاق بنافع عند ذهابه الى الاحواز فاستقبله عدد من الخوارج كانوا قد انصلوا عن نافع لرفضهم مبادئه الجديدة فأخبر هؤلاء نجدة بن عامر واتباعه بأحداث نافع وردودهم الى اليمامة وبايعوا نجدة بن عامر، واكفروا من قال «بأكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم واكفروا من قال بإمامة نافع»⁽³⁾ ومن هذا المنطلق يتبين الخلاف بين فئات معتدلة وفئات متطرفة من الخوارج.

(1) البياسي: الاعلام، ورقة 70 ب، النويري: نهاية الارب 523/20، المرصفي: رغبة الامل 232/7.

(2) الطبري: تاريخ 5/567.

(3) الفرق بين الفرق، ص52.

الفصل الخامس

نشاط الحركات الخارجية في الأحواز

- 1 - لمحة تاريخية عن إقليم الأحواز وتنظيماته الإدارية
- 2 - بداية النشاط الخارجي في الأحواز
 - أ - معركة دولاب
 - ب - المهلب والأزارقة
- 3 - الخوارج في ولاية عمر بن عبيد الله بن معمر
- 4 - إعادة المهلب لقتال الأزارقة لحساب الأمويين
- 5 - الحجاج بن يوسف الثقفي واستمرار محاربة الأزارقة
- 6 - انقسام الأزارقة

أولاً: لمحة تاريخية عم إقليم الأحواز وتنظيماته الإدارية:

الأحواز تسمية عربية أطلقها العرب على هذا الإقليم منذ القدم، ثم أبدلته الفرس بعدئذ وذكر البلديون أن الأحواز آخره زاي وهو جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى اذهبت أصلها جملة لأن ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء⁽¹⁾.

وفي اللغة تعد الكلمة مصدراً للفعل حاز بمعنى الحياة والتملك⁽²⁾.

وهناك الكثير من الحقائق والمصادر التاريخية التي تؤكد عروبة الإقليم وسكن القبائل العربية فيه، منذ القدم، إذ يذكر الطبري «أن بني العم غالب الوائلي وكليب بن وائل قد سكنوا مناطق الأحواز ومنها مناذر وتيري»⁽³⁾⁽⁴⁾. ويضيف أيضاً «أن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كانوا ممن سكن إقليم الأحواز وتوج وبلاد فارس.. وأن بني حنظلة ممن سكن الرميثة في بلاد الأحواز»⁽⁵⁾.

أما موقع الإقليم فقد ذكره جغرافيو العرب، أن إقليم الأحواز يحده غرباً إقليم واسط ودو الراسي، وجنوباً شاطئ البحر من عبادان، إلى مهروبان، وشرقاً فارس

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/284، صفى الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادي (ت739هـ/1338م) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع 1/135. تحقيق علي محمد البجاوي، ط1 (بيروت، دار المعرفة، 1954) ص1/135.

(2) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/1004م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت، دار الفكر، 1979) 2/117، ابن منظور: لسان العرب 7/205.

(3) مناذر: اسم بلدة بوادي الأحواز، ياقوت الحموي: معجم البلدان 5/199، تيري: نهر تيري بنواحي الأحواز، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/66.

(4) تاريخ 4/72 - 73.

(5) م. ن، 2/57/61.

والعراق، وشمالاً مجرى نهر كرخه وجبال اللور⁽¹⁾. وعلى هذا النحو يقع إقليم الأحواز في جنوب وجنوب غربي إيران ينفصل عنه بسلاسل جبلية وتعد أرضه امتداداً طبيعياً لأرض العراق الجنوبية⁽²⁾.

والجدير بالذكر ان هذه الحدود لم تكن ثابتة بسبب طبيعة الأرض وامتدادها وتبدل الأوضاع الإدارية مما جعل البلدانين يلحقون بعض المدن بالبصرة أو بواسطة تارة وبالأحواز تارة أخرى تبعاً للتغيرات الإدارية للمنطقة⁽³⁾.

من أهم مدن الاقليم سوق الأحواز، رامهرمز، وايدج، وعسكر مكرم، وتستر، وجند يسابور، وسوس، وسرق، ونهر تيري، ومناذر، والطيب، وقرقوب، وجبي، وحصن مهدي، والدورق، ومهروبان، وارجان⁽⁴⁾.

اما عمليات تحرير الأحواز فقد بدأت زمن الخليفة عمر (رضي الله عنه) سنة 14هـ/635م متخذة من منطقة البصرة قاعدة رئيسية لتحرير المنطقة⁽⁵⁾ وبدأت

(1) أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م): صورة الأرض، ط2 (لیدن، مطبعة بريل، 1938/250)، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة المعروف بأبي الفداء (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان، تحقيق رينود والبارون مالك كوكين ديسلان (باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840) ص311، د. علي نعمة الحلو: الأحواز، ط2 (بغداد، دار بصري، 1969/22-23، د. ابراهيم خلف العبيدي: الأحواز أرض عربية سليية (بغداد، 1980) ص9، ايواز: مادة خورستان، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة احمد الشتاوي (بيروت، دار الفكر، د.ت) 38/9.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض 250/2.

(3) سهيلة مزيان حسن، الأحواز من التحرير حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1988، ص16.

(4) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بأبن خرداذبه (ت300هـ/912م): المسالك والممالك، (لیدن، مطبعة بريل، 1889)، ص43، ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/285، أبو الفداء: تقويم البلدان، 314 وما بعدها.

(5) ابن خياط: تاريخ 1/95، الطبري: تاريخ 3/593.

عمليات التحرير بجهود منسقة مع القوات العسكرية الموجودة في العراق⁽¹⁾ ومع القبائل

الموجودة في المنطقة⁽²⁾ وقد جرى تحرير المنطقة سنة 18هـ/ 639م⁽³⁾ فكان من نتائج تحرير الاحواز اندفاع القبائل العربية الى هذه المنطقة واستيطان المقاتلة العرب مع عيالاتهم في كثير من ارجائها. ويلاحظ ان القبائل التي نزحت الى الاحواز بعد حركات التحرير هي القبائل نفسها التي استوطنت البصرة على الاغلب لكونها من فتوح اهل البصرة، وهكذا توثقت الصلات الاجتماعية بين سكان البصرة وسكان الاحواز طوال العصور الاسلامية⁽⁴⁾. وبذلك تبع إقليم الاحواز ادارياً الى البصرة في اثناء حروب التحرير العربية فكان والي البصرة مسؤولاً عن ادارة الإقليم، وتعيين ولاية عليه فقد ذكر ابن الاثير «ففي ولاية عبد الله بن عامر على البصرة ولى الاحواز نفرأ من اصحابه»⁽⁵⁾.

وهكذا اصبح الإشراف لولاية البصرة على ادارة الإقليم في العهد الراشدي والعصر الاموي وفي هذا يقول الهمداني «من ولي العراق فقد ولي البصرة والكوفة والاحواز وفارس وكرمان والهند وسجستان وطبرستان وجرجان»⁽⁶⁾. وقد باشرت الدولة بالإشراف على جباية خراج هذا الإقليم بعد حروب التحرير من قبل ولاية كانوا تابعين لوالي البصرة اذ «كان المسلمون بالبصرة وارضاها يومئذ سوادها والاحواز

(1) الطبري: تاريخ 4/ 72 - 73.

(2) م. ن، 4/ 72 - 73.

(3) ابن خياط: تاريخ 1/ 111، البلاذري: فتوح البلدان، 375.

(4) بشار عواد معروف: تحرير الاحواز في صدر الاسلام، مجلة افاق عربية، العدد (3-4) لسنة 1980، ص 200.

(5) الكامل 3/ 18.

(6) ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بأبن الفقيه (ت 290هـ/ 902م): مختصر كتاب البلدان (لیدن، مطبعة بريل 1302)، ص 162.

على ما هم عليه الى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي ايديهم وما صولحوا عليه منها ففي ايدي اهله يؤدون الخراج»⁽¹⁾. فضلاً عن ذلك فكانت للأقاليم اهمية تجارية كبيرة، فمنذ القدم كانت له علاقات تجارية مع بقية اقاليم الدولة العربية الاسلامية من جهة، والدول المجاورة من جهة اخرى ويدل على ذلك انتشار الاسواق في الإقليم، مما ساعد على تحقيق الازدهار التجاري هناك، ولذلك يعد مورداً مهماً من موارد الدولة المالية فيذكر المقدسي في هذا الصدد «الا انه خزانة البصرة ومطرح فارس واصفهان وبه قياسير حسنة واخبار نظيفة، وادام وبه تجتمع الخروز والديباج واليه تحمل البضائع والاموال وهي مغوثة وفرجة للتجار، ومنهل عامر لكل مار، واسمه كبير في الاقاليم والامصار»⁽²⁾. وبذلك اهتمت الدولة العربية به ويعد جزءاً منها فسعت بكل عملياتها العسكرية لتحريره من ايدي الفرس.

ثانياً: بداية النشاط الخارجي في الاحواز:

بعد خروج نافع بن الازرق مع جماعته من البصرة، توجه الى الاحواز سنة 64هـ/683م، وهناك صار «يعترض الناس ويقتل الاطفال، فإذا اجيب الى المقالة جبا الخراج وفشا عماله في السواد»⁽³⁾. فكتب امير البصرة عبد الله بن الحارث⁽⁴⁾ الى

(1) الطبري: تاريخ 79/4.

(2) ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد الشافعي المقدسي المعروف بالبشاري (ت380هـ/990م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2 (ليدن، مطبعة بريل، 1906) ص411.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/232، البيهقي: الاعلام، ورقة 73أ، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/12.

(4) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وآل من اشراف قريش من اهل المدينة كان لأبيه وجده صحبة، وامه هند بنت ابي سفيان بن حرب، وكان يلقب بيه، فكان ورعاً صالحاً وله رضا العامة، فلما مات يزيد بن معاوية سنة 64هـ أدى الى هروب عامله على العراق عبيد الله بن زياد، فرضى اهل البصرة بعبد الله ابن الحارث، وقد ولي البصرة

أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير يعلمه تطور حركة ابن الأزرق في الأحواز، فطلب منه أن يختار رجلاً ترتضيه أهل البصرة لمواجهتهم⁽¹⁾. فأجتمع وجوه أهل البصرة للتشاور في اتخاذهم قراراً موحداً لمجابهة خطر الخوارج الذي ينطلق من الأحواز ويهدد البصرة⁽²⁾ بعد وصولهم إلى جسرهما، فأرتعب أهل البصرة الذين فزعوا إلى الانحنف بن قيس⁽³⁾. وشكوا إليه ذلك «ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان وسيرتهم ما ترى، فقال الانحنف إن فعلهم في مصركم إن ظفروا به كفعلهم في سوادكم فوجدوا في جهاد عدوكم»⁽⁴⁾. فأجتمع عنده عشرة آلاف مقاتل من أهل البصرة فسار بهم إلى عبد الله بن الحارث فطلب منه أن يعين قائداً كفواً يقودهم لحرب الأزارقة، فوقع الاختيار على مسلم بن عيسى بن كريب بن ربيعة⁽⁵⁾ فجرت بينهما مناقشات تمكن بعدها من دفع الأزارقة نحو دولا ب⁽⁶⁾ من أرض الأحواز⁽⁷⁾.

- (1) لأبن الزبير، ولما قامت فتنة ابن الأشعث خرج إلى عمان هارباً من الحجاج فتوفى فيها سنة 84هـ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت245هـ/859م): المحبر، تصحيح، الدكتوراة يلزه ليختن اشتر (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع د. ت) ص104، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، م3/ج5/ص59.
- (2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 12/2 - 13.
- (3) وكان ممن اجتمع من وجوه البصرة (الانحنف بن قيس: سويد بن منجرف الذهلي، مالك بن مسمع الجحدري) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/5، البياسي: الاعلام، ورقة 73أ.
- (4) الانحنف بن قيس بن حصين التميمي: ولدته أمه وهو انحنف، واسمه الضحاك، ولقبه الانحنف وكان من التابعين الثقة قليل الحديث، ولقد روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي ذر الغفاري، وقد اعتزل وقعة الجمل، وشهد صفين وقد توفي في ولاية مصعب بن الزبير على البصرة سنة 67هـ، ابن سعد: الطبقات 7/93، ابن حجر العسقلاني: الإصابة، م1/ج1/103.
- (5) المبرد: الكامل 2/232، المرفعي: رغبة الأمل 7/242، علي حسني الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (القاهرة، دار المعارف، 1959) ص197 - 198.
- (6) البياسي: الاعلام، ورقة 73أ.
- (7) دولا ب قرية بينها وبين الأحواز أربعة فراسخ، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/485.
- (8) البلاذري: انساب الأشراف، ج4/ق2/115، المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/232، ابن الأثير: الكامل 4/15، النويري: نهاية الأرب 2/523، المرفعي: رغبة الأمل 7/242.

أ - معركة دولاب:

باشر مسلم بن عبيس استعداداته العسكرية لوضع حد فاصل مع الازارقة فعبا قواته البالغة خمسة آلاف مقاتل⁽¹⁾ وتوجه بهم نحو دولاب سنة 65هـ/ 684م لمواجهة ابن الازرق، فجعل على ميمته الحجاج بن باب الحميري وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغداني التميمي⁽²⁾ في الوقت نفسه عبأ ابن الازرق قواته البالغة ستمائة رجل⁽³⁾ جاعلاً على ميمته عبدة بن هلال اليشكري - وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز⁽⁴⁾ وعندما اجتاز جسر البصرة خطب مسلم بن عبيس فيث اهل البصرة حاثاً إياهم على القتال قائلاً لهم «أني ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة وأني لأحارب قوماً أن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع»⁽⁵⁾. فرجع كثير منهم قبل نشوب المعركة ومضى ابن عبيس بما تبقى منهم فدارت المعركة بين الطرفين في جمادي الآخرة سنة 65هـ/ كانون الثاني 685م، واقتتلوا فيها قتالاً عنيفاً «حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل.. فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق»⁽⁶⁾ الا ان المعركة لم تنته بمقتلها بل تواصلت بين الجانبين فعين اهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري،

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 232، المرفعي: رغبة الامل 7/ 242.

(2) ابن الاثير: الكامل 4/ 15، ابن خلدون: تاريخ 3/ 145.

(3) مؤلف مجهول: الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، نشره (Ahl- - W - Von wardt)، غريفولد، مطبعة يولس آبل، 1883، ص 86.

(4) ابن الاثير: الكامل 4/ 15 - 16.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 232، البياسي: الاعلام، ورقة 73، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/ 13، المرفعي: رغبة الامل 7/ 243.

(6) ابو حنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص 279، ابن الاثير: الكامل 4/ 16، ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة، 2/ 13.

في حين عين الخوارج عليهم عبد الله بن الماحوز، واستأنف القتال مجدداً⁽¹⁾. ولمدة شهر، فقتل قائديهما إذ ذكر المؤرخون «فأختلفا ضربتين فسقطا ميتين»⁽²⁾ وعلى أثرها انتخب اهل البصرة عليهم ربيعة الاجذم التميمي، وانتخب الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز التميمي، واستمر القتال بينهما بكل ضراوة، لكن سرعان ما تغير الموقف لصالح الازارقة حينما أقبلت «سرية مستريحة من الخوارج لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فأنهزم الناس وقُتل امير البصرة ربيعة وقُتل ايضاً دغفل بن حنظلة الشيباني»⁽³⁾.

ان هذه الانتصارات التي احرزها الخوارج تركت اثراً سيئاً في نفوس البصريين مما حملهم إلى مكاتبة ابن الزبير بعود عبد الله بن الحارث على مواجهة الخوارج، مما اضطر الى عزله وتعين عمر بن عبيد الله بن معمر بدلاً عنه الذي ولى اخاه عثمان أمر محاربة الازارقة في اثني عشر الف رجل، وقد طلب حارثة بن بدر الغداني المتمرس في قتال الخوارج من عثمان التهيؤ والاستعداد قبل مواجهتهم فرفض عثمان وقال «لا جرم والله لا اتغدى حتى إناجزهم»⁽⁴⁾. عندها اعتزل حارثة عن القتال، اما عثمان الذي استهان بالخوارج فقد تجمعت قواته في سوق الاحواز⁽⁵⁾ ثم عبروا نهر دجيل وهناك دارت رحى القتال منذ قبيل الظهر حتى مغيب الشمس، ثم اسفرت هذه الوقعة بانتصار الخوارج وقتل عثمان، وهنا عزل عبد الله بن الزبير عمر ابن عبيد الله، وعين

(1) ابن الاثير: الكامل 4/ 16، النويري: نهاية الارب 20/ 523 - 524.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 233، ابو الفرج الاصفهاني: الاغانى 6/ 145، ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة 2/ 13، المرصفي: رغبة الامل 7/ 245.

(3) الطبري: تاريخ 5/ 614، ابن الاثير: الكامل 4/ 16، النويري: نهاية الارب 20/ 524.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 241.

(5) سوق الاحواز، اسم مدينة في الاحواز، ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/ 283.

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي (القباع) بدلاً عنه⁽¹⁾ أما قوات عثمان فقد تراجعت بشكل غير منتظم مما جعل حارثة يتدارك الأمر فأخذ يناوش الخوارج من غير ولاية مانعاً إياهم من التوجه نحو البصرة، إلا أن تفرق الكثير من الناس عنه وتخاذلهم عن نصرته كان السبب في هزيمته وعدم قدرته على مناهضة الخوارج فظل مع من بقي معه عند نهر تيري، ولكن الخوارج تعقبوه واضطروه إلى الهرب، فركب السفينة مع نفر من أصحابه، وفقد حياته في حادث غرق تلك السفينة⁽²⁾ وبانتصار الخوارج تمكنوا من السيطرة على الأحواز، فأخذوا يحرقون الدور ويذبحون الرجال والنساء والأطفال⁽³⁾. «وأقام عبيد الله بن الماحوز بالأحواز يجبي كورها ثلاثة أشهر»⁽⁴⁾.

لقد تظافرت عوامل عديدة ساعدت الأزارقة على تحقيق تلك الانتصارات منها ضعف ولاية البصرة وتقاعسها في العمل بشكل جدي على مواجهة الخوارج، وعدم توحيد الجهود لذلك، والافتقار إلى قادة أكفاء متمرسين لقتال الخوارج، ناهيك عن عدم سيطرتهم الفعلية على قواتهم، فحالما يتشدد القتال، ينسحب معظمهم وهذا كما حصل عند تفرق قوات حارثة عنه وعدم قدرته على إرجاعهم، مما نتج من ذلك خسارة حتمية له ولقواته. ومن أهم العوامل التي منحت الخوارج قوة عسكرية كبيرة، سيطرتهم على خراج بعض الكور في إقليم الأحواز، وهذا يبدو المباشر في حصول الخوارج على تأييد الموالي لهم فقد «اجتمع للخوارج أهل الأحواز وكورها رغبة ورهبة»⁽⁵⁾. فأدى إلى ازدياد عدد مقاتلي الخوارج حتى قدروا بنحو عشرة آلاف

(1) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص 280.

(2) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني 6/ 147، ابن الأثير: الكامل 4/ 17، ابن خلدون: تاريخ 3/ 146.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، 2/ 243.

Shorter Encyclopaedia of Islam, (Leden E.J.Brill . 1953), p. 246.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/ 243.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/ 243، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 16.

مقاتل⁽¹⁾ إلا أن الخوارج لم يكتفوا بهذا النصر بل سرعان ما توجهت قواتهم بقيادة عبيد الله بن الماحوز صوب البصرة، وعقدت الجسر للعبور إليها⁽²⁾. مما أثار الرعب في نفوس أهالي البصرة وخرجوا بأجمعهم في السفن وعلى الدواب ورجاله، فاضطر عبيد الله بن الماحوز إلى قطع الجسر والبقاء بمحاذاتهم⁽³⁾. وحينما شعر أهالي البصرة بالخطر فزعوا إلى الأحنف بن قيس الذي توجه إلى الحارث بن عبد الله عامل الزبير على البصرة، وذكر له قلق الناس وخوفهم من تقدم الخوارج نحوهم، فتداولوا فيما بينهم حول من يتولى لحرب الخوارج، فوقع الاختيار على المهلب بن أبي صفرة، لما عرف عنه من الشجاعة والاقدام⁽⁴⁾.

ب - المهلب والازارقة:

كان المهلب قد قدم من ابن الزبير لولاية خراسان، حالما وقع اختياره لمحاربة الازارقة، فتردد بالموافقة في بادئ الأمر، لكنه سرعان ما وافق بعد أن اشترط عليهم شروطاً أجيب إليها كلها⁽⁵⁾ فخول باختيار من يشاء من المقاتلة، وأن تكون له امرة كل بلد يقع في حوزته⁽⁶⁾ وعندها كتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير بأمره، فلم يمانع

(1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/15، الطبري: تاريخ 5/622.

(2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/16.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والأدب 2/243، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/16.

(4) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، ص 102، زهرة كوكز والي الأحنف بن قيس التميمي وسيرته ودوره في السياسة الأموية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990، ص 110.

(5) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، 281، الطبري: تاريخ 5/615، ابن الأثير: الكامل 4/16، النويري: نهاية الأرب 2/524، محمود شاکر: التاريخ الإسلامي (العهد الأموي) ط 1 (بيروت، المكتب الإسلامي، 1983) 4/179.

(6) الطبري: تاريخ 5/616، ابن الأثير: الكامل 4/16، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/16، النويري: نهاية الأرب 20/524، د. نافع توفيق العبود: آل المهلب بن أبي صفرة ودورهم في

في الموافقة الذي كتب بدوره الى المهلب يأمره بمحاربة الازارقة⁽¹⁾. وبذلك تولى المهلب بن ابي صفرة حرب الخوارج الذي باشر استعداداته العسكرية، فأول عمل قام به، هو اختياره من اهل البصرة ممن يعرف بشجاعته اثني عشر ألفاً⁽²⁾ بينما يذكر أبو حنيفة الدينوري انه قد انتخب من اهل البصرة عشرين ألف رجل فيهم من الأزد ثمانية ألف رجل وبقيتهم من سائر العرب⁽³⁾ لكنه لم يجد في بيت المال الا مائتي ألف درهم، ولم تكن كافية لتكاليف جيشه فاضطر اثر ذلك ان يستدين من التجار «ليصلح به عسكره»⁽⁴⁾. وعند ذلك بدأ خطة محكمة لمواجهة الخوارج اقتضت بتعيين ابنه المغيرة على رأس قوة عسكرية بلغت ثلاثة آلاف رجل لغرض مشاغلة الخوارج، وعند عبوره الجسر فاجأته الخوارج فتمكن من إلحاق الهزيمة بهم، هذا في الوقت نفسه اتجهت قوة عسكرية بقيادة المهلب تعتمد على إصلاح الجسر لعبور تلك القوات والالتفاف حول الخوارج⁽⁵⁾ وقد نجحت خطته بانهزام الخوارج باتجاه الجسر الأكبر فأزاحهم عنه⁽⁶⁾ فأقام المهلب اربعين يوماً بالجسر يجبي خراج كور دجلة فقتضي التجار وأعطى اصحابه فأسرع اليه الناس رغبة في محاربة الخوارج، لما فيهم من الغنائم والتجارات⁽⁷⁾ وبعد ذلك نهض المهلب الى الخوارج واستمر

التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري (بغداد، مطبعة الجامعة، 1979) ص 58.

- (1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/ 11 - 12، ابن الاثير: الكامل 4/ 16.
- (2) ومن الذي اختارهم (محمد بن واسع، وعبد الله بن رياح الانصاري، ومعاوية بن مرة المزني وابو عمران الجوني) ابن الاثير: الكامل 4/ 16، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 16.
- (3) الاخبار الطوال، ص 282، العبود: آل المهلب بن ابي صفرة 58 - 59.
- (4) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 16.
- (5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 244 - 245، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 16/ 6 - 17، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 16/ 2.
- (6) ابن الاثير: الكامل 4/ 196.
- (7) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 245، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 17.

في ملاحظتهم باتجاه نهر تيري، حتى تنحوا باتجاه الاحواز⁽¹⁾ فأستطاع بذلك ان يعيد الأمن والاستقرار الى هذه المنطقة أولاً، واتخاذ التدابير اللازمة التي تخص الخراج وجبايته، كما ارسل العيون الى عسكر الخوارج لتقصي الأخبار والحقائق، «فلم يزل مقيماً حتى احكم امره وقوى اصحابه وكثرت الفرسان في معسكره وتنام اليه زهاء عشرين ألفاً»⁽²⁾. وهكذا سار بهم المهلب نحو الاحواز مستخلفاً من بعده على نهر تيري أخاه المعارك بن ابي صفرة⁽³⁾ وعلى مقدمته ابنه المغيرة ففاجأته الخوارج اثناء تقدمه بهجوم عنيف، الا انه تمكن من إلحاق الهزيمة بهم مما اجبرهم على الانسحاب الى مناذر فتوجه نحوهم، هذا وفي الوقت نفسه كان المهلب قد وصل سوق الاحواز⁽⁴⁾ ومن هناك كتب الى أمير البصرة الحارث بن عبد الله يخبره بالنصر وانهمز الخوارج⁽⁵⁾ إلا ان الخوارج لم يفترو حماسهم في مواصلة القتال كلما سنحت لهم الفرصة فاستغلت وجود المعارك بن ابي صفرة في نهر تيري حتى ارسل اليه عبيد الله بن الماحوز قوة عسكرية بلغت خمسين مقاتلاً بقيادة واقد مولى لآل ابي صفرة، وكان ممن معهم صالح بن مخراق فلم يستطع المعارك الصمود امام هذه القوة التي تمكنت من قتله⁽⁶⁾ وحينما علم المهلب بالأمر ارسل ابنه المغيرة فانسحبت الخوارج فدخل المغيرة نهر تيري، حيث دفن عمه، ثم استخلف بها ورجع الى ابيه⁽⁷⁾.

والجدير بالذكر ان المهلب كان شديد الحذر متمرساً في حرب الخوارج ومدركاً

(1) ابن الاثير: 17/4، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 17/2.

(2) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، ص 104.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/264.

(4) ابن الاثير: الكامل 4/17.

(5) م. ن، 7/4.

(6) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/247، ابن الاثير: الكامل 2/247، ابن ابي الحديد: شرح

نهج البلاغة 2/18.

(7) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، ص 104.

لخططهم وأساليبهم «فكان لا ينزل إلا في خندق وهو على تعبئة ويتولى الحرس بنفسه»⁽¹⁾ لذلك كان على استعداد لصد أي هجوم مفاجئ قد يشنوه عليه، ولقد حاولوا الخوارج حينما نزلت قوات المهلب في سولاف⁽²⁾ ان يشنوا عليه هجوماً عنيفاً فاقتتلوا فيه قتالاً شديداً كادوا يلحقون به الهزيمة، لولا صموده وثباته مع بعض فرسانه وابنه المغيرة الذي ابلى بلاءً حسناً، فانقلب الوضع لصالح المهلب الذي أخذ ينادي اصحابه فرجع اليه جمع كثير نحو اربعة آلاف فارس، وبعد هذه الجولة نرى ان المهلب ترك القتال فجأة، عندما أدرك ضعف قواته ما بين جريح وقتيل⁽³⁾ فغير دجيل متجهاً نحو عاقول وبقى هناك ثلاثة ايام استطاع خلالها أن يعيد تنظيم قواته، ثم قصد سلى وسلبري⁽⁴⁾ فقد كان فيها الخوارج الذين فروا من الجولة التي دارت في سولاف فعسكر المهلب قريباً منهم⁽⁵⁾ والجدير بالذكر ان جولة سولاف لم تحسم لأي الطرفين، ولو ان الخوارج عدوها نصر لهم⁽⁶⁾ حينما خاطب عبيد الله بن الماحوز اصحابه قبل موقعة سلبري «ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتوهم بالأمس وكسرتهم حدهم»⁽⁷⁾ ويعنى بهذا وقعة سولاف.

كما ان احد رجال الخوارج انشد شعراً يتفاخر بيوم سولاف⁽⁸⁾:

- (1) ابن الاثير: الكامل 17/4.
- (2) سولاف: قرية في غربي دجيل من ارض الاحواز، ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/285.
- (3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/249.
- (4) سلى وسلبري، موضعان بالأحواز قرب جند يسابور، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/232، 244.
- (5) ابن الاثير: الكامل 18/4، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة 2/20.
- (6) محمد رضا حسن الدجيلي: فرق الازارقة، (دراسة تحليلية تاريخية تبحث في اصول هذه الفرقة وتطورها) (النجف، مطبعة النعمان، 1973) ص 99.
- (7) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/20.
- (8) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/250.

وكان تركنا يوم سولاف منهم اسارى وقتلى في الجحيم مصيرها
 اما المهلب، فعندما عسكر بالقرب منهم اتخذ هناك اجراءات عسكرية عديدة
 يذكرها بعض المؤرخون «وخذق عليه وصنع المسالج واذكى العيون والحرس
 والناس على راياتهم ومواقفهم وابواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا ارادوا
 بياته وغرته وجدوا امرأ محكماً فرجعوا، فلم يقاتلهم انسان»⁽¹⁾. وكذلك استعد عبيد
 الله بن الماحوز هو الآخر للمعركة، فعين على ميمته عبيد الله بن هلال الشكري
 وعلى ميسرته، الزبير بن الماحوز وكانوا اكثر عدة وسلاحاً من اهل البصرة⁽²⁾ فخرج
 اليهم المهلب في تعبئة كاملة جاعلاً على ميمته قبائل الأزدي وعلى ميسرته قبائل بكر
 بن وائل وعبد القيس وفي القلب اهل العالية⁽³⁾. واستمر الفريقان ثلاثة ايام من دون
 قتال، وفي اليوم الثالث «حمل رجل من الخوارج على رجل قطعنه عليه المهلب
 فطعنه»⁽⁴⁾. فشن الخوارج بعدها هجوماً عنيفاً تمكنوا من الحاق الهزيمة بقواته،
 واشاعت الخوارج بأن المهلب قد قُتل، الا ان سرعان ما تبددت هذه الشائعة عندما
 ظهر بفرسه وهو يصيح «انا المهلب»⁽⁵⁾ فسكن روع الناس وقلقهم بعد ان فر قسم
 منهم الى البصرة، الا ان المهلب سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى «الي عباد
 الله، فاجتمع اليه ثلاثة آلاف واكثرهم من قومه من الأزدي»⁽⁶⁾. فقادهم في حرب مباغتة
 فاجأ بها الخوارج فتصدى له عبيد الله بن الماحوز واصحابه، واشتبك الطرفان في

(1) ابن الاثير: الكامل 4/ 18، البياسي: الاعلام، ورقة 177.

(2) ابن الاثير: الكامل 4/ 18 - 19، ابن خلدون: تاريخ 3/ 146.

(3) ابن الاثير: الكامل 4/ 19.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 252، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 20.

(5) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/ 19، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 20.

(6) ابن الاثير: الكامل 4/ 19.

معركة عنيفة⁽¹⁾ تمكن المهلب خلال ساعة واحدة من قتل امير الخوارج عبيد الله بن الماحوز وكثير من اصحابه في شوال سنة 66هـ/ ايار 685م⁽²⁾ فاستولى المهلب بعدها على عسكرهم وما فيه من الغنائم «واقبل من كان في طلب اهل البصرة زاحفاً، وقد وضع المهلب لهم خيلاً ورجالاً في الطريق تخطفهم وتقتلهم فانكفؤ راجعين مغلوبين مقتولين محرومين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصفهان»⁽³⁾ وكانت هذه الواقعة شديدة الوطاس على الازارقة، حيث قُتل عدد كبيراً منهم⁽⁴⁾.

وبذلك يقول شاعر الخوارج الصلتان العبيدي⁽⁵⁾:

سلى وسلبري مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها
اما المهلب فقد اقام بالأحواز ومن هناك كتب الى امير البصرة الحارث بن عبد الله يخبره بانتصاراته التي حققها ضد الخوارج فاثني عليه امير البصرة خيراً، ثم ارسل اليه اهالي البصرة يهتئونه بتلك الانتصارات وشجاعته على مواجهة الخوارج ودفعهم الى مناطق كرمان واصفهان⁽⁶⁾. وبذلك كانت وقعة سلى وسلبري وقعة شديدة على الخوارج التي انهكت قواهم وامكانياتهم العسكرية، فكثرت فيهم القتلى مما اضطروا الى الانسحاب للمناطق البعيدة من بلاد فارس، ومما لا شك فيه ان هذه الواقعة قد اضررت بقوات المهلب ايضاً فقد قُتل من اصحابه عدد كثير يفوق عدد الازارقة، الأمر الذي جعله يكتفي بهذا النصر من دون التوغل الى المناطق البعيدة⁽⁷⁾ وفي ظل هذه

(1) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، ص 104، 109.

(2) ابن الاثير: الكامل 19/4.

(3) م. ن، 4/19.

(4) الطبري: تاريخ 619/5.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/254، ابن الاثير: الكامل 19/4.

(6) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/24 - 25، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص 102.

(7) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، ص 105، الدجيلي: الازارقة ص 102.

الظروف السيئة التي حاقت بالأزارقة، التحق بهم عدد من خوارج البحرين دون الإشارة الى عدد هؤلاء⁽¹⁾. ويتضح من الوقائع التي خاضتها الخوارج مع قوات الخلافة، قد امتازوا بلعبة الكر والفر، فاذا ما تعرضوا للخطر انسحبوا الى معقلهم الرئيسية في بلاد فارس مثل كرمان⁽²⁾ ومنها يخرجون واليها يعودون⁽³⁾.

ثالثاً: الخوارج في ولاية عمر بن عبيد الله بن معمر:

عندما تولى مصعب بن الزبير امر العراق سنة 67هـ/686م، بعث الى المهلب يأمره بالرجوع، على ان يولي من بعده ابنه المغيرة لمحاربة الخوارج⁽⁴⁾. وكان يسعى من ذلك توليته بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون سنداً له من هجمات خليفة الشام عبد الملك بن مروان⁽⁵⁾ وكذلك ملاحقة الخشبية من اتباع المختار الثقفي⁽⁶⁾. الا ان مصعب سرعان ما عزل المغيرة ايضاً، وولى عمر بن عبيد الله بن معمر بدلاً عنه على فارس وولاه ايضاً حرب الخوارج⁽⁷⁾ وفي هذا الوقت كانت الخوارج قد تمكنت

(1) الطبري: تاريخ 619/5.

(2) كرمان، هي ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/454.

(3) اننا نجهل متى بالضبط سيطر الأزارقة على كرمان فلقد ذكر الطبري لنا اول اشارة سنة 65هـ بأن الأزارقة جبوا الارض واكلوها ما بين كرمان الى الأحواز (5/619) وفي سنة 66هـ بعد وقعة سلى وسلبري انسحبوا الخوارج الى كرمان لتنظيم قواتهم وتهيئتها للقتال (5/619) وفي سنة 68هـ استقر الأزارقة فيها فترة من الوقت حتى يستعدوا ويعاودون للقتال مجدداً (6/120) ثم ان قطري رجع بها فترة من الوقت (6/127) وفي سنة 72هـ انطلق الأزارقة من كرمان للمواجهة (6/169) وهكذا بقيت كرمان بأيدي هؤلاء الخوارج حتى سنة 78هـ (6/311) رتب من قبل الدجيلي: الأزارقة 105 - 106.

(4) ابن الاثير: الكامل 4/74.

(5) الطبري: تاريخ 6/116.

(6) المسعودي: مروج الذهب 3/106، العبود: آل المهلب بن ابي صفرة، ص 61.

(7) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/41، ابن الاثير: الكامل 4/74، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/26، النويري: نهاية الارب 20/525.

من استعادة تنظيماتها العسكرية باختيار قائد لهم هو الزبير بن الماحوز⁽¹⁾. وحينما سمعوا بتولية عمر بن عبيد الله قال قطري بن الفجاء لأصحابه «قد جاءكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه، وبطيعة لم ار مثلاً لأحد ما حضر حرباً الا كان اول فارس يقتل قرنه»⁽²⁾.

وعلى اثر ذلك باشرت الخوارج استعداداتها العسكرية بقيادة الزبير بن الماحوز الذي استطاع من اعادة الثقة في صفوفهم بعد أن رأى فيهم انكساراً شديداً وضعفاً بينا، فخطب بهم قائلاً «ان البلاء للمؤمنين تمحيص واجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي.. فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصاً، ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا»⁽³⁾. وبذلك اكمل الطرفان استعداداتهما العسكرية في مواجهة احدهما الآخر، فتوجه عمر بن عبيد الله بقواته نحو ارجان⁽⁴⁾ فدحر الخوارج الذين تراجعوا الى اصبهان، وهناك «جمعوا له واعدوا واستعدوا»⁽⁵⁾ ثم اقبلوا نحو سابور⁽⁶⁾، فقاتلهم قتلاً شديداً، فانسحبوا الى اصطخر وظل عمر يتتبعهم حتى التقى بهم عند قنطرة طمستان⁽⁷⁾ فالتحم معهم في مواجهة عنيفة، مما حمل الخوارج على قطع القنطرة والانسحاب مجدداً الى كرمان، فتمكن بذلك عمر بن عبيد الله ان يخرجهم من ارض فارس، وعلى الرغم من شجاعته واشادة الخوارج به، الا انه لم يكن بمستوى كفاءة المهلب العسكرية ودهائه في مواجهة الخوارج، فبعد ان «اجتبروا وقوا واستعدوا وكثروا»⁽⁸⁾. توجهوا

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 259، ابن الاثير: الكامل 4/ 74.

(2) ابن الاثير: الكامل 4/ 47.

(3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 256، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 32.

(4) ارجان: كورة من كور فارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان 1/ 143.

(5) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 26.

(6) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس، ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/ 167.

(7) قنطرة طمستان: مدينة بفارس: ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 41.

(8) الطبري: تاريخ 6/ 120، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 62 - 27، النويري: نهاية الارب

الى فارس وفيها عمر بن عبيد الله، فسلكوا طريقاً مغايراً لطريقه تمكنوا من خلاله اجتياز ارضه من سابور الى ارجان، فوجدهم متجهين نحو الاحواز قاصدين البصرة⁽¹⁾ وحينما بلغ مصعب اقبالهم غضب قائلاً «والله ما ادري ما الذي اغنى عني ان وضعت عمر بن عبيد الله بفارس»⁽²⁾. مما دفعه الى الخروج بالناس عند الجسر الاكبر، شعر الزبير بن الماحوز بخطورة وقوعهم بين معسكرين معادين، فقرر التخلص من ذلك حينما قال لجماعته «ان من سوء الرأي والحيرة وقوعكم ما بين هاتين الشوكتين، انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد»⁽³⁾. فعند ذلك توجهوا الى المدائن فهرب اميرها كردم بن مرثد الفزاري ثم اقبلوا الى ساباط⁽⁴⁾ فقتلوا اعداداً كثيرة من الناس⁽⁵⁾ ثم بدأ ابن الماحوز يوزع قواته لأحكام سيطرته على المنطقة أولاً، واثارة القلق والرعب لدى العامة ثانياً، فانطلقت مجموعة من الخوارج الازارقة الى بكر بن مخنف عامل مصعب على استان العال⁽⁶⁾ فقتل مع جماعة من قومه بكر بن بغداد⁽⁷⁾، اما ابن الماحوز فقد توجه بنفسه الى الكوفة فتصدى لهم واليها الحارث بن ابي ربيعة بقواته البالغة ستة آلاف رجل مما اضطرروا الى الانسحاب⁽⁸⁾ متوجهين نحو الصرا⁽⁹⁾ فقتلوا سماك

20/526.

- (1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 43/6 – 44.
- (2) الطبري: تاريخ 120/6، النويري: نهاية الارب 20/526.
- (3) الطبري: تاريخ 120/6 – 121، ابن الاثير: الكامل 4/75، النويري: نهاية الارب 20/526.
- (4) ساباط: موضع معروف بالمدائن، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/166.
- (5) ابن الاثير: الكامل 4/75، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/28، النويري: نهاية الارب 20/526.
- (6) استان العال: كورة في غربي بغداد من السواد، ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/174.
- (7) الطبري: تاريخ 6/122.
- (8) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/262، الطبري: تاريخ 6/122، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/28.
- (9) الصرا: وهما نهران ببغداد، الصرا الكبرى، والصرا الصغرى، ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/398.

بن يزيد السبيعي وابنته⁽¹⁾ في هذا الوقت اقبلت قوات من اهل الكوفة من الجهة الثانية، الا ان الخوارج تمكنت من قطع جسر الصراة لمنع تقدمها فباشر اهل المصر بإعادة بنائه وتقدموا بقيادة عبد الرحمن بن مخنف «ليخرجهم من ارض الكوفة فاذا وقعوا في ارض البصرة خلاهم»⁽²⁾. ويبدو ان عبد الرحمن بن مخنف انصرف عنهم ولم يستطيع ملاحقتهم لسرعتهم المذهلة في الانسحاب⁽³⁾ ام ترك الأمر لمن يتصدى لهم في البصرة، فتوجه الازارقة نحو جوخي⁽⁴⁾ «فأغاروا بين ازقة الدور وقتلوا واصابوا اموالاً واتو البندنجين⁽⁵⁾ ثم حلوان»⁽⁶⁾. حتى وصلوا مدينة جي⁽⁷⁾ وكان اميرها يومئذ عتاب بن ورقاء الرياحي، فخرج لقتالهم، وحينما تمكنوا من دخول المدينة، هرب عتاب الذي عين والياً بعد ذلك على اصبهان، فتقدم الازارقة نحوه وفرضوا عليه الحصار من دون ان يتمكنوا منه⁽⁸⁾ وبعد ذلك قصدوا الري وبها يزيد بن الحرث بن رويم عامل مصعب فحاصروه مدة سبعة اشهر فجرت بينهما مناوشات غير حاسمة لكلا الطرفين، ولما طال الحصار خرج عليهم عتاب مباغته في الفين وسبعمائة فدارت بين الطرفين معركة عنيفة انهزم فيها الخوارج بعد مقتل زعيمهم الزبير بن

- (1) الطبري: تاريخ 6/ 124، ابن الاثير: الكامل 4/ 76.
- (2) الطبري: تاريخ 6/ 124 - 124، ابن الاثير: الكامل 76/ 4، النويري: نهاية الارب، 20/ 526.
- (3) ابن الاثير: الكامل 4/ 76، الدجيلي: الازارقة ص 110.
- (4) الطبري: تاريخ 6/ 121، ابن الاثير: الكامل 4/ 75.
- (5) البندنجين: وهي بلدة مشهورة من طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد، ياقوت الحموي: معجم البلدان 1/ 499.
- (6) الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول ص 117.
- (7) جي: اسم مدينة بناحية اصبهان القديمة، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/ 202.
- (8) الطبري: تاريخ 6/ 125، النويري: نهاية الارب، 526.
- (9) 2/ المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 264، ابن الاثير: الكامل 75/ 4، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 29، النويري: نهاية الارب 20/ 526.

الماحوز⁽¹⁾ فانحازت الازارقة لتولية عبيدة بن هلال الشكري ولكنه رفض قائلاً: «ادلكم على من هو خير لكم مني، من يطاعن في قبل ويحمي في دبر، عليكم قطري بن الفجاءة المازني»⁽²⁾. فبايعوه سنة 68هـ/687م، ثم عرض عليه الخوارج ان يسير بهم نحو فارس، الا انه لم يصغ اليهم⁽³⁾ فسار بهم نحو كرمان «فقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة واكل الارض واجتبي المال وقوى»⁽⁴⁾ ثم عاد الى اصبهان ومنها توجه نحو الاحواز فتمكنوا من دخولها والسيطرة عليها مما اثار الرعب بين اهالي البصرة مجدداً الأمر الذي دفع امير البصرة بمكاتبة مصعب بن الزبير يخبره بأمرهم وتفاقم خطرهم مؤكداً له ان ليس لهم الا المهلب وهو على الموصل والجزيرة وحينئذ اعاده مصعب لقتال الخوارج وتولية ابراهيم بن الاشر بدلاً عنه⁽⁵⁾.

رابعاً: إعادة المهلب لقتال الازارقة لحساب الامويين:

حال قدوم المهلب الى البصرة في اواخر سنة 68هـ/687م، استطاع اعداد قوة منتخبة سار بها باتجاه الاحواز⁽⁶⁾. ولما سمع بذلك قطري بن الفجاءة انسحب الى كرمان لأجل التهيؤ والاستعداد، فعادوا الى الاحواز وهم في «احسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب، وحصانة الجبن»⁽⁷⁾. فالتقى الطرفان عند سولاف ودارت بينهما معارك عنيفة استمرت ثمانية اشهر، حتى تمكن المهلب من

- (1) الطبري: تاريخ 6/ 125-126، ابن الاثير: الكامل 77/ 4-78، ثابت اسماعيل الراوي: العراق في العصر الاموي، ط2 (النجف، مطبعة النعمان، 1970) ص243.
- (2) الطبري: تاريخ 6/ 1126، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 30.
- (3) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 267، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة 2/ 31.
- (4) ابن الاثير: الكامل 4/ 78، النويري: نهاية الارب 20/ 527.
- (5) الطبري: تاريخ 6/ 127، ابن الاثير: الكامل 4/ 78، النويري: نهاية الارب، 20/ 527، د. احمد شلي: موسوعة التاريخ الاسلامي، ط4 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1973) 2/ 240.
- (6) الطبري: تاريخ 6/ 127.
- (7) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 268، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 31.

نفهمهم الى رامهرمز⁽¹⁾ ويبدو ان هذه الانتصارات التي احرزها المهلب لم تضع حداً لحركة الخوارج التي تتأثر بجرى الظروف المحيطة بالخلافة، فلقد حدثت تغيرات سياسية وعسكرية، على اثر مقتل مصعب بن الزبير سنة 72هـ/ 691م، واستقرار الوضع لصالح عبد الملك بن مروان⁽³⁾ فأثرت هذه التغيرات في مجرى الاحداث، بتعيين خالد بن عبد الله بن اسيد على البصرة والذي عين بدوره اخاه عبد العزيز لحرب الازارقة، وتعيين المهلب على خراج الاحواز فقط سنة 72هـ/ 691م⁽⁴⁾ وبهذا الاجراء تصاعد نشاط الخوارج مجدداً بعد ان عزل من اكفا القواد تمرساً لقتالهم ويبدو ان الغاية من هذا الاجراء هو نظرة الحسد والغيرة التي يكنها له خالد، بعد ان ارتفعت مكانة وسمعة المهلب بقتاله للخوارج وانتصاره عليهم⁽⁵⁾ وبذلك تحركت الازارقة باتجاه دارابجرد، في الوقت الذي تحركت قوات عبد العزيز بن عبد الله وقد امده والي البصرة بإمدادات عسكرية بقيادة مقاتل بن مسمع، فأرسل اليهم قطري بن الفجاءة قوات تكونت من تسعمائة مقاتل، فاجأت قوات عبد العزيز السائرة ليلاً من غير تعبئة فحدثت معركة عنيفة في مقاطعة دارابجرد في اوائل سنة 73هـ/ 692م، تبعثر خلالها جيشه بعد بضع ساعات من المعركة، فانهزم عبد العزيز وقتل فيها مقاتل ابن مسمع⁽⁶⁾ ويعزو السبب في ذلك الى عدم تكافؤ القوتين في استعدادتهما وتعبئتهما

(1) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي الاحواز، ياقوت الحموي: معجم البلدان 17/3.

(2) الطبري: تاريخ 6/127، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/31.

(3) ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت821هـ/1418م): مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج (الكويت، جامعة الكويت، 1964) 1/129.

(4) الطبري: تاريخ 6/169، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/302، ابن الاثير: الكامل 4/117، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/34، النويري: نهاية الارب 21/174، د. عبد الامير عبد الحسن دكسن: الخلافة الاموية، ط1 (بيروت، دار النهضة، 1973) ص285.

(5) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/303.

(6) الطبري: تاريخ 6/196، ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 6/305-306، ابن الاثير: الكامل 117/4، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 34/2-35.

العسكرية أولاً، والافتقار إلى قائد كفؤ متمرس ثانياً، إذ إن عبد العزيز لم يكن جديراً بحرب الخوارج فضلاً عن أنه كان يجهل أسلوبهم وخططهم في القتال ناهيك عن جهله لجغرافية المنطقة التي تولى القتال فيها مما أدى إلى هزيمته⁽¹⁾.

شكلت هذه الانتصارات التي حققها الازارقة نتائج خطيرة، بتقدمها نحو الأحواز وتهديدها مجدداً للبصرة، وهنا عمد المهلب الذي كان والياً على الأحواز أن يقطع الجسور خوفاً من دخولهم البصرة⁽²⁾.

خلال هذه الفترة تعاظمت قوة الخوارج، من جراء الصراعات السياسية التي أشرنا إليها مسبقاً ما بين الزبيريين والامويين وتبدل الولاة بين الحين والآخر. فضلاً عن سيطرة الازارقة على مناطق بلاد فارس وتوغلهم فيها، وانضمام أعداد كثيرة من الموالى إليهم رغبة ورهبة، ولعدم كفاءة بعض القادة الذين تولوا قتال الخوارج، ناهيك عن القوة والأسلوب العسكري الذي امتاز به الخوارج المعتمد على الكر والفر والهجوم المفاجئ والانسحاب السريع إلى المناطق الجبلية التي اتخذوها وسيلة دفاعية وهجومية في آن واحد في أثناء مواجهتهم للسلطة الأموية⁽³⁾.

أزاء هذه الأوضاع التي تعرضت لها قوات الخلافة، بعث المهلب إلى والي البصرة رسولاً يخبره بهزيمة أخيه عبد العزيز، والذي بدوره أرسل كتاباً إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستطلع فيه راية عن الأمور، فغضب عبد الملك لعزله للمهلب، وأمره غاضباً أن ينهض لمناوأة الخوارج وأن يعمل برأي المهلب ويستشيريه في كل

(1) الدجيلي: الازارقة، ص 119.

(2) ابن أئثم الكوفي: الفتوح، 6/307.

(3) قحطان عبد الستار الحديثي: حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري (مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد 6، لسنة 1972)، ص 145.

الأمور⁽¹⁾ ثم كتب في الوقت نفسه الى اخيه بشر بن مروان بأن يمدّه بخمسة آلاف رجل، فأرسلهم بشر بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث⁽²⁾ فخرج خالد بمن انضم اليه تجاه الاحواز، فباغته قطري بهجوم ليلي مفاجئ تمكن من حرق سفنه، فتدارك الأمر بتعيين المهلب بن ابي صفرة على ميمته⁽³⁾ الذي خاض معهم معارك عنيفة ولمدة عشرين ليلة تمكن من الحاق الهزيمة بالأزارقة واجلالهم الى بلاد فارس مجدداً⁽⁴⁾. كان المهلب فطناً متيقظاً لأفعال الخوارج فعلى الرغم من عزله عن قتالهم، كان شديد الحرص على ان يبدي توجيهاته السديدة للقادة والمقاتلين وتنبههم من مفاجآت الخوارج نظراً لخبرته الواسعة في قتالهم وخططهم العسكرية، لذا حاول المهلب تنبيه القائد خالد بن عبد الله قبل حرق السفن، بعدم تركها من دون حراسة الا انه لم يأخذ برأيه، فكانت النتيجة هي تمكن الخوارج من حرقها⁽⁵⁾ كما انه حذر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بأنه يحتاط بقواته بخندق يحميه من مفاجآت الخوارج، فعمل الخندق تبعاً لنصيحة المهلب⁽⁶⁾. فضلاً عن ذلك كان المهلب مدركاً تماماً ان الحرب مع الخوارج تتطلب امور عدة الى جانب الكفاءات العسكرية، فالقضاء على هؤلاء المتأهبين للموت وهم ينادون «وعجلت اليك ربي لترضى»⁽⁷⁾ يتطلب منه تنظيم جنوده ليس عسكرياً فحسب بل وبدرجة الحماس الديني نفسها على اساس انهم من الد اعداء الدين حتى جعل احد رجال جيشه يقول «لو جاء الديلم من هنا والحروية

(1) الطبري: تاريخ 6/ 170 - 171، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 37.

(2) الطبري: تاريخ 6/ 170 - 171.

(3) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/ 300 - 301.

(4) الطبري: تاريخ 6/ 172، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 38، العبود: آل المهلب بن ابي صفرة، ص 65.

(5) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/ 300 - 301.

(6) الطبري: تاريخ 6/ 172، سهيلة مزبان حسن: الاحواز، ص 97.

(7) سورة طه آية 84.

من هنا لحاربت الحرورية⁽¹⁾. وظل المهلب يقاتلهم حتى عزله بشر بن مروان الذي عين بدلاً عن خالد بن عبد الله على ولاية البصرة سنة 74هـ/693م فضلاً عن ولايته على الكوفة، على الرغم من تأكيد عبد الملك توليته محاربة الازارقة، ولكن تجدد خطر الازارقة بأقبالهم نحو الاحواز واثارتهم الرعب في نفوس اهل البصرة جعل بشر بن مروان يعيد المهلب مجدداً لقتال الازارقة بناءً على أمر الخليفة عبد الملك بن مروان ايضاً⁽²⁾ وأمره ان ينتخب المهلب من شاء من الفرسان واولى الفضل منهم والنجدة، وفي الوقت نفسه ارسل اليه جيشاً كوفياً بقيادة عبد الرحمن بن مخنف⁽³⁾ ثم اوصاه بمخالفته ولا يقبل للمهلب مشورة⁽⁴⁾ الا ان ابن مخنف كونه ازدياً كالمهلب واكثر حنكة وتجربة من هذا الشاب غير المجرب، لم يأب مما طلب اليه على الرغم من تظاهره بإطاعته⁽⁵⁾.

ويبدو ان هذا الاختلاف بين المهلب وولاة الأمور في البصرة يعود الى كون كان المهلب يمانياً، واكثر ولاة الأمور من المضرية، فكان هؤلاء يهتمهم تقديم بني عصيتهم عليه، وبما ان الخوارج من اشد خصوم الدولة، فمن استطاع اخضاعهم، كان يسمى بحق (منقذ الدولة) وبذلك لم يكن من مصلحة المضريين ان يذهب بفخر هذه الانتصارات الى قائد غريب عنهم⁽⁶⁾.

(1) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/245، دوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة د. حسين حبشي (القاهرة، دار المعارف، 1963)، ص101.

(2) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 6/314، وما بعدها، النويري: نهاية الارب 21/152.

(3) الطبري: تاريخ 6/196، ابن الاثير: الكامل 4/132، النويري: نهاية الارب 21/152.

(4) ابن الاثير: الكامل 4/132، النويري: نهاية الارب 21/152، محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الامم الاسلامية، ط8 (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1382)، 2/155.

(5) دكسن: الخلافة الاموية، ص286.

(6) عمر ابو نصر: الخوارج في الاسلام، ط3 (بيروت، 1970) ص104.

وهكذا سار المهلب بقواته الى معظمها من الأزد متجهاً نحو الاحواز⁽¹⁾ واستطاع بكفائه العسكرية ان يجلي الازارقة عن مواقعهم ثم تبعهم الى رامهرمز⁽²⁾ وهناك التحق بهم جيشاً كوفياً يقوده عبد الرحمن بن مخنف⁽³⁾ وقبل ان يلتقي الطرفان في مواجهة عسكرية حاسمة واجه المهلب مشكلة خطيرة على اثر وفاة بشر بن مروان سنة 74هـ/ 693م واستخلاف خالد بن عبد الله على البصرة وعودة بعض المقاتلين وتسلمهم الى الكوفة والبصرة⁽⁴⁾ ويعزو سبب ذلك الى سياسة التشدد التي كان قد اتخذها بشر بن مروان بحق العصاة المهزومين «فكان اذا ظفر بالعاصي سمر كفيه في الحائط بمسمار وتركه الى ان يموت»⁽⁵⁾ اما خالد بن عبد الله فقد حاول عبثاً ان يردهم الى المهلب⁽⁶⁾ من هذا المنطلق ندرك خطورة سياسة الولاة التي تباينت ما بين الشدة واللين على سير أمور الولاية ومجابهة الخطر الخارجي، فأستغل الازارقة هذا الوضع لصالحهم، فقام قطري بن الفجاءة مخاطباً اصحابه: «يا معشر المهاجرين فأن بشر بن مروان قد مات، وتفرق الناس عن المهلب الا قليل منهم، وهذا العراق ليس به أمير فهل لكم ان تغنموا الفرصة من المهلب بن ابي صفرة بوقعة تواقعه بها، فلعلنا

(1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 319/6.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 279، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 319/6، ابن الاثير: الكامل 4/ 133، التنويري: نهاية الارب 21/ 152.

(3) الطبري: تاريخ 6/ 197، ابن الاثير: الكامل 4/ 133.

(4) الطبري: تاريخ 6/ 197، ابن الاثير: الكامل 4/ 133، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 38 - 39.

(5) ابو علي اسماعيل بن القاسم بن القالي البغدادي (ت 356هـ/ 966م): الامالي، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، د.ت)، 2/ 30، عبد الواحد ذنون طه: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي من الناحية السياسية والادارية، (75 - 95هـ) (رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، 1973) ص 61.

(6) ابن الاثير: الكامل 4/ 33.

ان نظفر منه بشيء⁽¹⁾. لكن تباين آراء زعماء الازارقة في هذا الأمر، اضطر قطري الى ان يتراجع عن رأيه⁽²⁾ ولولا ذلك الاختلاف لحسم الموقف لصالحهم بالتأكيد.

اما المهلب فقد بقى مع عدد قليل من اصحابه، وكان مترثاً في اتخاذ أي قرار وقد عبر عن ذلك في كتابه الذي بعثه الى عبد الملك بن مروان «اني ليس عندي رجال اقاتل بهم، فأما بعثت الي بالرجال، واما خليت بينهم وبين البصرة»⁽³⁾.

والواقع ان هذه الظروف الصعبة التي تعرض لها المهلب وهو يصارع اقوى خصم للدولة، دفعت عبد الملك بن مروان الى ان يختار أميراً حازماً شديداً كالحجاج بن يوسف الثقفي، لما يتمتع به من الكفاءة العسكرية والادارية لدرء خطر الخوارج الداهم، فولاه العراق في اوائل سنة 75هـ/ 694م⁽⁴⁾.

خامساً: الحجاج بن يوسف الثقفي واستمرار محاربة الازارقة:

ما ان تولى الحجاج ولاية العراق حتى بادر في اتخاذ الاجراءات السريعة لمساعدة المهلب في مواجهته للازارقة، فكانت اولى مهماته إعادة الجند الفارين من جيش الكوفة، وقد استوضح ذلك من خلال خطبته المشهورة في الكوفة، فجعل كل شخص قادر على حمل السلاح يلتحق بقوات المهلب في مدة اقصاها ثلاثة ايام، وانه سيقتل من وجده متخلفاً من بعث المهلب⁽⁵⁾ وقد اقدم فعلاً على قتل عمر بن ضابي التميمي، الذي طلب إليه ان يعفيه من مهمة البعث لكبر سنه، وان يقيم احد

(1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 6/ 321.

(2) م. ن، 2/ 321 - 322.

(3) المسعودي: مروج الذهب، 3/ 133.

(4) الطبري: تاريخ 6/ 202، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 39.

(5) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 280، الطبري: تاريخ 6/ 204، المسعودي: مروج الذهب، 3/ 135، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/ 93، ضرار صالح ضرار: الحجاج بن يوسف

الثقفي (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1966) ص 52.

ابنائه مكانه⁽¹⁾ ثم توجه بعدها الى البصرة متخذاً الاجراءات نفسها فاستجابوا للأمر⁽²⁾ وهكذا كانت السياسة الحازمة الشديدة التي اتبعها الحجاج سبباً في التحاق جميع الجند الفارين بقوات المهلب. ثم كتب الى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف «إذا اتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج والسلام»⁽³⁾. فاستجاب المهلب للأمر وناهض الازارقة في رامهرمز سنة 75هـ/ 694م، فأجلوهم الى سابور بأرض يقال لها كازرون⁽⁴⁾ فتتبعهم حتى التقى بهم في معركة عنيفة في اول رمضان سنة 75هـ/ 694م⁽⁵⁾ تمكنت من خلالها الخوارج من مباغتة قوات ابن مخنف لعدم اتخاذ الاجراءات العسكرية، مما أدى الى الحاق الهزيمة بقواته وقتله في المعركة⁽⁶⁾ فأرسل الحجاج عوضاً عنه عتاب بن وراق الرياحي من قبيلة تميم قائداً لجيش اهل الكوفة وأمره ان يسمع ويطيع للمهلب، الا انه لم يكن يرغب في القتال تحت امرة المهلب⁽⁷⁾ فأزاد بينهما الخلاف الى درجة كادت تصل الى فتنة قبيلة بين الازارقة وتميم داخل الجيش لولا فطنة المهلب وسيطرته على الأمر⁽⁸⁾ وبهذا الوضع افتقد المهلب تعاون قوات الكوفة مع قوات البصرة، فساء ذلك كثيراً لأنها تعد من المشاكل الصعبة التي يمكن ان يستغلها

-
- (1) المسعودي: مروج الذهب 3/ 136 - 137، المزرباني: معجم الشعراء، ص 73، د. العبود: آل المهلب بن ابي صفرة، ص 69.
- (2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/ 280، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 40، ثابت اسماعيل الراوي: تاريخ الدولة العربية (خلافة الراشدين والامويين) (بغداد، مطبعة الارشاد، 1976) ص 174.
- (3) الطبري: تاريخ 6/ 211، ابن الاثير: الكامل 4/ 148، النويري: نهاية الارب، 21/ 152،
- (4) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 429.
- (5) ابن الاثير: الكامل، 4/ 148، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 41، النويري: نهاية الارب، 21/ 152.
- (6) الطبري: تاريخ 6/ 211.
- (7) الطبري: تاريخ 6/ 213، ابن الاثير: الكامل 4/ 149.
- (8) الطبري: تاريخ 6/ 213.

خصوصهم، الأمر الذي جعل عتاب يطلب من الحجاج اعفاء من قيادة جيش الكوفة. فوافقه على ذلك مسنداً إياه مهمة قتال شبيب بن يزيد الشيباني⁽¹⁾ ثم وافق الحجاج على طلب المهلب في تولية ابنه حبيب على قيادة قوات الكوفة⁽²⁾ وبهذا الاجراء توحدت وتنسقت الجهود بين القوتين لمواجهة خطر الخوارج، فاشتبك الطرفان في معارك عديدة تمكن المهلب من هزيمة الازارقة في سابور، واكتفى بعدها بذلك، فلم يتتبعهم، فقد حل الشتاء وبدأت الثلوج تتساقط وكان المهلب شديد الحرص على جنده، وما ان انحسر الشتاء حتى بدأ يتتبعهم فوصلوا الى اصطخر وتحصنوا بها⁽³⁾. ويبدو ان هذه المعارك لم تكن حاسمة، فضجر الحجاج من جراء ذلك الذي كان يستعجل المهلب في مناجزة الازارقة، واتهامه بالمطاملة لكسب اكبر قدر ممكن من

(1) على الرغم من ان حركات الخوارج في الموصل ليست من صميم بحثنا، الا ان الاشارة اليها تبدو ضرورية لكونها استنفذت جزء من جهود الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي اولا واتجاه هذه الحركة الى الاحواز لإعادة تنظيماتها ثانيا. تولى شبيب بن يزيد الشيباني قيادة الخوارج سنة 76هـ على اثر وصية قائدها صالح بن مسرح الخارجي الذي كان يرى رأى الصفرية، قبل مقتله بجوخان، ولقد ازداد اتباعه وتوسعت حركته مما جعله يفكر بالزحف نحو الكوفة، فتصدى له عتاب بن ورقة الرياحي بأمر من الحجاج ودارت بين الطرفين معركة، قتل فيها عتاب وانهزم غالبية جنده فتمكن شبيب من دخول الكوفة، فخرج له الحجاج بقواته بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان، واصطدم به في معركة عنيفة تمكن من الحاق الهزيمة بقوات شبيب مما اضطره الى الهرب متوجهاً نحو الاحواز ثم فارس ومنها الى كرمان وحين نظم قواته رجع فتصدى له سفيان بن الابرذ الكلبي بمساندة قوات اهل البصرة بقيادة زياد بن عمرو العتكي وعند عبوره جسر الدجيل التقى الطرفان في معركة شديدة الوطاس على اثرها قرر شبيب الرجوع الى معسكره السابق لشن هجوم جديد، فلما شرع لعبور الجسر زلقت به فرسه فسقط في الماء فغرق سنة 77هـ، ابن خياط: تاريخ 1/351، اليعقوبي: تاريخ 3/20-21، الطبري: تاريخ 6/224 وما بعدها، ابن اعثم الكوفي: الفتوح 7/84، وما بعدها، المسعودي: مروج الذهب، 3/146-147.

(2) ابن الاثير: الكامل 4/149.

(3) ابن اعثم الكوفي: الفتوح، 7/28.

جباية خراج بلاد فارس⁽¹⁾ ومما لا شك فيه ان الحجاج كان على خطأ في زج نفسه في أمور عسكرية يقدرها المهلب في الميدان والذي كان يتحين الفرص المناسبة حتى ينتقص منهم بشكل سريع وحاسم، وقد عبر عن ذلك بكتابه الى الحجاج «اني انتظر بهم احدى ثلاث، موت ذريع أو جوع مضر، أو اختلاف من اهوائهم»⁽²⁾. وجاءت هذه الفرصة حينما فرض عليهم حصاراً شديداً في اصطخر، ولمدة شهر كامل⁽³⁾ حتى نفذت ذخائرهم فاضطروا الى ترك المدينة متوجهين الى المدينة البيضاء⁽⁴⁾ وهناك اصطدم بهم المهلب في معركة عنيفة ابدى فيها الازارقة مقدرة عظيمة، الأمر الذي جعل المهلب يرفض متابعتهم بقوله «لا تتبعوهم فوالله ما انصرفوا حتى انتصفوا منا واتصفنا منهم»⁽⁵⁾. وخلال هذه المدة بدأ المهلب يستعيد امكانياته العسكرية، وما ان تمكن من ذلك حتى اعاد فرض الحصار مجدداً على المدينة البيضاء حيث فيها الخوارج وعلى الرغم من المناوشات التي جرت بينهما لم تنته بشكل حاسم لكلا الطرفين، مما اضطر الخوارج الى الانسحاب منها⁽⁶⁾ في حين يذكر الطبري، ان المهلب تمكن من الحاق الهزيمة بالازارقة في سابور، وظل يتتبعهم حتى اجلاهم الى كerman، متخذين جيرفت⁽⁷⁾ معسكراً لهم، فقاتلهم فيها المهلب اكثر من سنة قتالاً عنيفاً⁽⁸⁾ ويتضح من الروايتين انسحاب الازارقة الى بلاد فارس ورجوعهم الى معقلهم

(1) الطبري: تاريخ 6/ 301.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 286.

(3) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 36/ 7.

(4) مدينة البيضاء: مدينة مشهورة بفارس وسمت بيضاء لأن لها قلعة تتبين من بعد ويرى بياضها، ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقعا، ص 77.

(5) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 43 - 44 / 7.

(6) م. ن، 7/ 44 - 45.

(7) جيرفت: مدينة بكرمان، ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/ 198.

(8) تاريخ، 6/ 301.

الرئيسي كرمان.

سادساً: انقسام الازارقة:

بدأ الضعف يدب في صفوف الخوارج سنة 77هـ/ 696م، ولقد تضافرت عوامل عديدة لأضعاف نشاط الازارقة ومن ثم القضاء عليهم، وقد ذكر لنا الطبري ان من اهم اسباب ضعفهم هو نشوب الاختلافات والانقسامات في صفوفهم، ذلك ان عاملاً لقطري على ناحية كرمان يدعى المقعطر الضبي، قد قتل رجلاً من الخوارج، فوثب الخوارج لقتله، فمنعهم ذلك قائلاً «رجل تأول فأخطأ في التأويل»⁽¹⁾. فكان هذا اول خلاف نشب في صفوفهم، وحينما علم بذلك المهلب حاول جاهداً استغلال هذه الفرصة لبث التفرقة في صفوفهم، ولقد نجح في ذلك فكانت من الاسباب التي ساعدت على اتساع الرشق بينهم اذ كان في عسكر الخوارج رجل يصنع السهام المسمومة ليرمو بها قوات المهلب، فوجه المهلب احد اصحابه بكتاب امره ان يلقيه في عسكر قطري من دون ان يراه احد، وقد كتب فيه «اما بعد، فأنا نصالك وصلت وقد انفذت اليك الف درهم»⁽²⁾ وحينما حقق قطري بالأمر انكر الصانع هذا الأمر، الا ان قطري أمر بقتله، فخالفه في ذلك عبد ربه الكبير، مما زاد من حدة الخلاف بينهما⁽³⁾ ولم يكتف المهلب بهذا بل استمر بإثارة الفتن والخلافات في صفوفهم «حينما أرسل رجلاً نصرانياً وأمره ان يقصد قطرياً ويسجد له ففعل ذلك»⁽⁴⁾. فأنكر الخوارج ذلك ووثب احدهم فقتل النصراني⁽⁵⁾ ويروي المبرد سبباً آخر اثار حفيظة اختلافاتهم في

(1) الطبري: تاريخ 6/ 303، ابن الاثير: الكامل 4/ 81.

(2) ابن الاثير: الكامل 4/ 182، النويري: نهاية الارب، 21/ 155.

(3) ابن الاثير: الكامل 4/ 182.

(4) ابن الاثير: الكامل 4/ 182، النويري: نهاية الارب، 210/ 155.

(5) ابن الاثير: الكامل 4/ 182.

بعض المسائل الاجتهادية، وذلك ان عبيدة بن هلال قد عرف بتكرار زيارته الى بيت رجل حداد من دون علمه، وعندما أبلغ احد الخوارج قطري بن الفجاءة بذلك، استدعى عبيدة فأنكر هذا الأمر، فغفر له ذلك، الا ان عبد ربه الصغير لم يصدقهم متهماً اياه بالكذب، ولقد ايداه على ذلك ناس كثير⁽¹⁾ وأخذ الازارقة عند ذلك يتعقبون قطري ويأخذون عليه بعض المثالب، اذ ان الخوارج طلبت من قطري ان يخرج بهم لمواجهة عدوهم، فأبى ذلك ثم خرج بعدها، فاتهموه بالكاذب⁽²⁾ وحينما شعر بتأمر اصحابه، على محاولة قتله، عوم ان يبايع المقعطر العبدى وعلى الرغم من رفض الخوارج ذلك، ابى قطري ان يعزله⁽³⁾ كما ان فتى من العرب طعن صالح بن مخراق، فنشبت الحرب بينهم، اجلت عن الفتي قتيل⁽⁴⁾ ولقد أدت هذه الاختلافات الى انقسامات فيما بينهم، فانظم الموالي والعجم الى عبد ربه الصغير، وكان عددهم زهاء ثمانية آلاف من القراء⁽⁵⁾ حتى كاد عددهم يفوق عدد العرب بكثير وبرز من بينهم زعيمان كبيران في الحركة الخارجية هما عبد ربه الكبير، وعبد ربه الصغير، وبذلك انقسمت الخوارج فصار سبعة آلاف منهم الى واد بجيرفت مع عبد ربه الكبير، بينما مضى عبد ربه الصغير في اربعة آلاف الى ناحية اخرى من كرمان⁽⁶⁾.

في هذا الوقت الذي كانت الخوارج تعاني من الاختلافات والانقسامات، كان المهلب يلتزم الهدوء والتريث، فلم يهاجمهم، بل تركهم يتقاتلون فيما بينهم لأنه ادرك ان مهاجمتهم ستؤدي الى توحيد جهودهم مجدداً، الا ان الحجاج لم يدرك هذا

(1) الكامل في اللغة والادب 2/ 298.

(2) م. ن، 2/ 298.

(3) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 54.

(4) المبرد: الكامل في اللغة والادب، 2/ 299.

(5) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة 2/ 54.

(6) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 52.

الأمر، فطلب منه ان يقاتلهم وهم على حال افتراقهم، لكن المهلب لم يستجب لأمره وكتب اليه يقول «لست ارى ان اقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً وينقص بعضهم عدد بعض فأن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضاً، فأنا هضمهم على تهيئة ذلك وهم اهون ما كانوا واضعفه شوكة»⁽¹⁾. وبعد أخذ المهلب يشدد الحصار على قطري في جيرفت، حتى اضطره الى الخروج وقد التحم الطرفان في معركة شديدة استمرت يومين وليلتين⁽²⁾ وفي اليوم الثالث حاولت الخوارج ان تستعيد وحدتها العسكرية وان تقاتل جنباً الى جنب لمواجهة قوات المهلب وذلك حينما اقبل عبد ربه الصغير على اصحابه: يا معشر المهاجرين ان قطرياً واصحابه في الحرب منذ يومين وليلتين، وهذا عار علينا ان نسلم اخواننا، ولكن سيروا بنا إليهم⁽³⁾. فأستجاب له اصحابه الذين هموا بالخروج لمساعدة قطري في مواجهة المهلب، وحينما ابلغ بذلك ارسل ابنه يزيد في عدد من الفرسان لمواجهة عبد ربه الصغير، واستطاع يزيد بكفائه العسكرية ان ينهي القتال خلال مدة وجيزة لصالحه بعد ان تمكن من قتل اغليهم، مما اجبر قطري على الانسحاب من كرمان الى الري⁽⁴⁾ اما عبد ربه الكبير الذي انشق عن قطري بن الفجاءة فسرعان ما دب الخلاف بين صفوف جماعته، حينما اختلف مع احد اتباعه من زعماء الازارقة، وهو عطية بن الاسود فحمل عليه عبد ربه فقتله، فسبب ذلك خروج جماعة عطية من بين صفوفه، حتى ان بعضهم صاروا الى المهلب فطلبوا منه الامان فأجابهم⁽⁵⁾ عند ذلك قرر عبد ربه الكبير مواجهة المهلب، الذي تركز في جيرفت وحالما سمع المهلب

(1) الطبري: تاريخ 6/ 303 - 304، ابن الاثير: الكامل 4/ 182.

(2) النويري: نهاية الارب، 21/ 156.

(3) ابن اثم الكوفي: الفتوح 7/ 60 - 61.

(4) م. ن، 7/ 61.

(5) م. ن، 7/ 63.

بقدمهم اسحب مكيدة لهم، ثم سرعان ما فرض عليهم حصاراً شديداً حالما نزلوا، حتى نفذ ما تبقى لهم من المؤونة، عندها قرر الازارقة الخروج لمواجهته، لكن من دون جدوى فانسحبوا مجدداً نحو جيرفت وفي اليوم التالي، دنت قوات المهلب من الخوارج حتى التحم الطرفان في قتال شديد، وعبد ربه ينادي ويشحذ همم اصحابه «روحوا الى الله فأنا القوم رائحون الى النار»⁽¹⁾. لكن انتهت المعركة بقتل عبد ربه الكبير سنة 77هـ/696م، وقتل معه معظم اصحابه، وهرب الباقيون، وهكذا انتهت سيطرة الازارقة على جيرفت وكرمان، ثم خرج منها المهلب بعد ان عين ابنه يزيد والياً عليها بناءً على طلب الحجاج⁽²⁾ اما قطري بن الفجاءة الذي ذهب مع عبيدة بن هلال اليشكري الى بلاد الري فقد وقع بينهما خلافاً ايضاً سنة 77هـ/696م، على اثره انفصل عبيدة بن هلال مع جماعته متوجهاً نحو قومس⁽³⁾ في حين توجه قطري نحو طبرستان⁽⁴⁾، وحينما علم الحجاج بمسيره، ارسل له سفيان بن الابرذ الكلبي في جيش كثيف، مع جيش كوفي يقوده محمد بن الاشعث واشتبك الطرفان في معركة شديدة، انتهت بمقتل قطري في اوائل سنة 78هـ/697م⁽⁵⁾ بعدها توجه سفيان الى عبيدة بن هلال الذي تحصن مع جماعته في حصن بقومس، وفرض عليها حصاراً شديداً، حتى نفذت مؤنتهم، وعند خروجهم التحم الطرفان في معركة عنيفة، تمكنت فيها قوات الخلافة من قتل عبيدة بن هلال اليشكري سنة 78هـ/697م⁽⁶⁾ بعدها عاد المهلب وهو

(1) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 66/7.

(2) المبرد: الكامل في اللغة والادب 2/306، 308.

(3) قومس: كورة كبيرة ما بين الري ونيسابور، ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/414.

(4) ابن اعثم الكوفي: الفتوح 61/7 - 62، النويري: نهاية الارب 21/159.

(5) الطبري: تاريخ 6/309 - 310، ابن الاثير: الكامل 4/184، د. علي ابراهيم حسن: التاريخ الاسلامي العام، ط2، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1959)، ص291.

(6) ابن الاثير: الكامل 4/184 - 185، النويري: نهاية الارب 160/21، عدنان علي الفراجي:

حركات المعارضة للخلافة الاموية (بغداد، مطبعة الاشعاع، د. ت) ص36.

يزف اخبار انتصاراته فأظهر له الحجاج اكراماً وهو يقول «ما اخطأت العرب حيث جعلت المهلب رجلها»⁽¹⁾.

وهكذا انتهت حركة الازارقة، واختفى نشاطهم السياسي والحربي، فلم يعد التاريخ يذكرهم مجدداً ويؤيد ذلك البغدادي بقوله «وطهر الله الارض من الازارقة والحمد لله»⁽²⁾.

(1) اسامة بن منقذ (ت 584هـ/1188م): لباب الآداب، تحقيق احمد محمد شاكر، (القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1935) ص 265.

(2) الفرق بين الفرق، ص 52.

الخلاصة

من خلال دراستي لموضوع (نشاط الخوارج في البصرة والاحواز خلال القرن الأول الهجري) توصلت الى ما يلي:

1 - ان الاحداث السياسية التي سبقت ظهور الخوارج، تلقي الاضواء على جملة من الخلافات السياسية التي نتج منها تزعزع الأمن الداخلي للدولة العربية الاسلامية ومن ذلك معركتا الجمل وصفين.

2 - ان النتائج التي تمخضت عن وقعة صفين أدت الى ظهور حركة الخوارج ولا سيما ان العديد من افراد هذه الحركة كانوا من اصحاب الخليفة علي (رضي الله عنه) على اثر رفضهم مبدأ التحكيم، وكانت النتيجة انهم كفّروا الإمام علي، ومعاوية بن ابي سفيان، وقد حاول الخليفة جاهداً إخضاعهم الى دائرة سلطته المركزية، لذلك اصطدم بهم في معركة النهروان وكانت نتائجها انتصاره عليهم، وعلى الرغم من ذلك لم يستأصل شأفتهم نهائياً، من هنا انبثق الفكر السياسي الخارجي وتبلور تدريجياً فأصبح لهم فكر وعقيدة ومبادئ ولا سيما منصب الحكم وقد وضعت افكارهم السياسية موضع التنفيذ متمثلة بالحركات السياسية المناوئة ضد ولاة الأمويين في البصرة ابان عهدي الخليفتين الأمويين معاوية وابنه يزيد.

3 - من خلال دراستنا لحركات الخوارج في البصرة وقفنا على تنظيمهم السياسي السري، فكانت البصرة مركزاً لنشاط أفرادهم فكان لذلك أثر في انتشار

الحركة الخارجية في الخليج العربي والمغرب العربي وبمرور الزمن تبلور هذا التنظيم الى حركة سياسية واسعة النطاق خطيرة على ولاة الأمويين حتى أصبحت البصرة مركزاً مهماً لحركة الخوارج.

4 - حاول الخوارج جاهدين التقرب الى عبد الله بن الزبير الذي اعلن خلافته في الحجاز في اثناء معارضته للأمويين ولكنهم فشلوا في ذلك بسبب موقف عبد الله بن الزبير من افكاره السياسية وعلى اثر ذلك تعددت فرق الخوارج فمنها من بقي من دون نشاط سياسي كالأباضية والصفورية وهناك من استمر في مناوأة الخلافة الأموية، اذ توجه الازارقة الى الاحواز واتخذوا مساراً جديداً في مواجهتهم للسلطة الأموية متخذين المناطق النائية ملاذاً لهم يشنون منها الهجوم ضد ولاة البصرة وبذلك تسبب الى هدر طاقات بشرية واقتصادية للدولة العربية الاسلامية.

5 - كان للقادة والولاة الأمويين دور كبير في القضاء على حركتهم وفي طليعة هؤلاء القادة (زياد بن ابي سفيان وعبيد الله بن زياد والمهلب بن ابي صفرة) الذين كانوا على دراية كبيرة في مواجهة الخوارج الازارقة والقضاء عليه وتطهير الاحواز من شرورهم بعد قتالهم سنين عدة والقضاء على آخر قادة الخوارج (قطري بن الفجاءة) فقد كان الدور السياسي والعسكري للقائد المهلب بن ابي صفرة في بث التفرقة والانقسام بين صفوف الازارقة الأمر الذي أدى الى ضعفهم ومن ثم كسر شوكتهم وتفرق بقيتهم القليلة في مناطق شتى.

6 - واخيراً لا بد ان نوه بصفات الخوارج التي تميزوا بها وهي: الشدة في العبادة، والاخلاص لمبادئهم وعقيدتهم، والشجاعة النادرة، فضلاً عن كون اغلبهم

من العرب البدو فكانوا يمتازون بالعربية الخالصة وهي التي جعلت للخوارج أدباً يمتاز بالقوة شعراً ونثراً وقد روت الكتب التاريخية والأدبية الكثير من الأحداث التي دلت على هذه الصفات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات: -

- البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت279هـ/ 892م):
انساب الاشراف، مخطوطة برقم (1/398)، نسخة الدكتور عزمي الصالحي.
- البيهقي: يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري (ت652هـ/ 1255م): الأعلام
في الحروب الواقعة في صدر الاسلام (القسم الأول) مخطوطة مصورة عن
دار الكتب المصرية في المجمع العلمي العراقي تحت رقم (1) (2) عسكري.
- الرازي: ابو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي
(ت277هـ/ 890م):
- الزينة، مخطوطة مصورة في كلية الآداب مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد
برقم 599.

ثانياً: المطبوعات:

- ابن ابي الحديد: ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت656هـ/ 1258م):
شرح نهج البلاغة، (بيروت، دار مكتبة الحياة د. ت).
- ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
(ت630هـ/ 1232م):

- 1 - الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987).
- 2 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون (بغداد، مكتبة المثنى، 1970).
- ابن اعثم الكوفي: ابو محمد احمد (ت314هـ/ 926م): الفتوح ط1 (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972).
- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/ 1200م): تلبس ابليس، (القاهرة، مكتبة المتنبى، د.ت).
- ابن حبيب: ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية بن عمر الهاشمي البغدادي (ت245هـ/ 859م): المحبر، تصحيح ايلزه ليختن شتير (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، د.ت).
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ/ 1448م): الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق ابن الرئيس (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- ابن حزم: الاندلسي الظاهري: ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م):
- 1 - جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، دار المعارف، 1962).
- 2 - الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط1 (القاهرة، المطبعة الأدبية، 1317هـ).
- ابن حنبل: احمد بن محمد (ت322هـ/ 934م): المسند (بيروت، المكتب

- الاسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، د. ت).
- ابن حوقل: ابو القاسم النصيبي (ت367هـ/ 977م): صورة الارض، ط2 (ليدن، مطبعة بريل، 1983).
- ابن خرداذبة: ابو القاسم عبيد الله (ت300هـ/ 912م): المسالك والممالك، (ليدن، مطبعة بريل، 1889).
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979).
- ابن خياط: ابو عمر خليفة بن شباب العصفري (ت240هـ/ 854م): تاريخ خليفة بن الخياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، ط1 (النجف، مطبعة الآداب، 1967).
- ابن دريد الازدي: ابو بكر محمد بن الحسن البصري (ت321هـ/ 933م):
- 1 - الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بغداد، مكتبة المثنى، 1958).
- 2 - جمهرة اللغة، ط1 (حيدر اباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1354هـ).
- ابن زكريا: ابو الحسن احمد بن فارس (ت395هـ/ 1004م): مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، دار الفكر، 1979).
- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/ 844م): الطبقات الكبرى (بيروت، دار صادر، 1985).
- ابن سيار المنقري: ابو الفضل نصر بن مزاحم (ت212هـ/ 827م): وقعة صفين،

- تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2 (القاهرة، مطبعة المدني، 1382هـ).
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت684هـ/1285م): العلاقات الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبارة (دمشق، 1978).
- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، (القاهرة، مطبعة الرحمانية، د. ت).
- ابن عبد الحق البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن (ت711هـ/1287م): مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (بيروت، دار المعرفة، 1954).
- ابن عبد ربه الاندلسي: احمد بن محمد (ت328هـ/940م): العقد الفريد، تحقيق خليل شرف الدين، ط1 (بيروت، مكتبة الهلال، 1986)..
- ابن العبري: ابو الفرج غريغوريس بن اهرن الطيب الملطبي (ت685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول، ط2 (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1958).
- ابن العماد الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).
- ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1154م): الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط2 (ليدن، 1973).
- ابن الغملاس: ولاة البصرة وتسلموها من تأسيس البصرة حتى نهاية الحكم العثماني (14 - 133هـ) (بغداد، دار بصري، 1962).
- ابن الفقيه الهمداني: ابو بكر احمد بن محمد ابراهيم (ت289هـ/902م): مختصر كتاب البلدان (ليدن، مطبعة بريل، 1302هـ).
- ابن قتيبة الدينوري: ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م):

- 1 - الامامة والسياسة (منسوب له)، تحقيق طه محمد الزيني، (القاهرة، مطابع سجل العرب، د. ت)
- 2 - المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1960).
- 3 - عيون الاخبار، (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت).
- ابن الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ/ 1297م): مختصر التاريخ من اول الزمان حتى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد (بغداد، مطبعة الحكومة، 1970).
- ابن كثير القرشي: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م): البداية والنهاية، ط2 (بيروت، مكتبة المعارف، 1974).
- ابن مسلم النيسابوري: ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 291هـ/ 874م): الجامع الصحيح، تحقيق عبد الله احمد ابو زينة (القاهرة، دار الشعب، د. ت).
- ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت 711هـ/ 1287م): لسان العرب، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت).
- ابن منقذ: اسامة (ت 584هـ/ 1188م): لباب الآداب، تحقيق احمد محمد شاكر (القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1935).
- ابو حنيفة الدينوري: احمد بن داود (ت 282هـ/ 895م): الاخبار الطوال، تحقيق فلاديمير جرجاس، ط1 (ليدن، مطبعة بريل، 1888هـ).
- ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت 722هـ/ 1331م):
- 1 - تقويم البلدان، تصحيح رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، (باريس، دار

- الطباعة السلطانية، 1840م).
- 2 - المختصر في اخبار البشر، (القسطنطينية، 1886م).
- ابو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/ 966م):
- 1 - مقاتل الطالبين، تحقيق السيد احمد صقر، ط2 (القاهرة، دار احياء الكتب، 1946).
- 2 - الاغاني: (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د.ت).
- الاسفرائيني: ابو المظفر عماد الدين (ت471هـ/ 1078م): التبصير في الدين وتميز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط1 (مطبعة الانوار، 1940).
- الاشعري: ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق (ت324هـ/ 935م): مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هـ. رتير (استانبول، مطبعة الدولة، 1929).
- الاصبهاني: ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت430هـ/ 1038م): حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988).
- الباقلاني: ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (ت403هـ/ 1013م): التمهيد في الرد على الملحدة العظلة الرافضة والخوارج المعتزلة، تحقيق محمود محمد الخضير، محمد عبد الهادي ابو ريده (القاهرة، دار الفكر العربي، 1947).
- البسوي: ابو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت277هـ/ 890م): المعرفة والتاريخ، تحقيق اكرم ضياء العمري، ط2 (بيروت، مؤسسة الثقافية الاسلامية، 1948).

- البغدادي: ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م):
- 1 - الفرق بين الفرق، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري (القاهرة، مؤسسة الثقافة الاسلامية، 1948).
- 2 - اصول الدين، ط1 (استانبول، مطبعة الدولة، 1928).
- البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت279هـ/892م):
- 1 - انساب الاشراف، (اورشليم، مطبعة جامعة القدس، 1938).
- 2 - فتوح البلدان، تصحيح رضوان محمد رضوان (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978).
- البيهقي: ابراهيم بن محمد (ت320هـ/932م): المحاسن والمساوي (بيروت، دار صادر، 1960).
- الثعالبي: ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت429هـ/1037م):
- 1 - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، دار المعارف، 1965).
- 2 - تحفة الوزراء (منسوب له) تحقيق حبيب علي الراوي، ابتسام برهون الصفار (بغداد، مطبعة العاني، 1977).
- الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ/868م): رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1964).
- الجهشيارى: ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت231هـ/942م): الوزراء والكتاب (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، 1938).
- الحارثي الاباضي: عبد اللع الفقير سالم بن حمد بن سليمان بن حميد الضيربي:

- العقود الفضية في اصول الاباضية، (بيروت، دار اليقظة، د. ت).
- الحموي: ابو الفضل محمد بن علي: التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره ووضع فهرسه بطرس غرياز نيويج، (موسكو، دار النشر الشرقية، 1960).
- الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت 436هـ/ 1070م): تاريخ بغداد، تحقيق اوفست كونرو غرافير، (بيروت، مطبعة اوفست كونروغرافير، د. ت).
- الخوارزمي: ابو عبد الله بن محمد بن احمد بن يوسف (ت 385هـ/ 995م): مفاتيح العلوم، ط1 (القاهرة، المطبعة المنيرية، 1342هـ).
- الديار بكري: حسين محمد بن الحسن (ت 981هـ/ 1574م): تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، (القاهرة، المطبعة الوهيبية، 1283هـ).
- 1 - تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، عمر عبد السلام تدمري، ط1 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1987).
- 2 - العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، (الكويت، 1960).
- الرازي: فخر الدين بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت 606هـ/ 1210م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة علي سامي النشار (بيروت، دار الكتب العلمية، 1982).
- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/ 1790م): تاج العروس في جواهر القاموس، (دمشق، 1965).
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت 911هـ/ 1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1 (القاهرة، المكتبة

(التجارية، 1954).

- الشهرستاني: ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد (ت 548هـ/ 1153م): الملل والنحل، ط 1 (القاهرة، المطبعة الادبية، 1317هـ).
- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط 4 (القاهرة، دار المعارف، 1966).
- العراقي الحنفي: ابو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسن (ت 500هـ/ 1106م): الفرق المتفرقة بين اهل الزيغ والزندقة، تحقيق بشار قوتلوآي، (انقره، 1961).
- العصامي المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 111هـ/ 1699م): سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1380هـ).

- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م): القاموس المحيط (بيروت، دار الفكر، 1978).
- القالي: ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت 356هـ/ 966م): الامالي، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع د. ت).
- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م):
- 1 - صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر د. ت).
- 2 - مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، (الكويت، 1964).

- الكرمانلي: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد (ت 786هـ/ 1384م): الفرق الاسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانلي)، تحقيق سليمة عبد الرسول

- (بغداد، مطبعة الارشاد، 1973).
- المالقي الاندلسي: محمد بن يحيى بن بكر الاشعري (ت 741هـ/ 1340م):
التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق محمد يوسف زايد (بيروت،
دار الثقافة، 1964).
- الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ/ 1058م):
الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط 1 (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي
وشركاه، 1960).
- المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر (ت 285هـ/ 898م): الكامل
في اللغة والادب، تحقيق تغاريد بيضون، نعيم زرزو (بيروت، دار الكتب
العلمية، 1989).
- المزرباني: ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 378هـ/ 988م): معجم
الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج (القاهرة، دار احياء الكتب العربية،
عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1960).
- المرصفي: سيد بن علي (ت 1349هـ/ 1930م): رغبة الأمل من كتاب الكامل،
ط 1 (القاهرة، مطبعة النهضة، 1929).
- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م):
- 1 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
(بيروت، المكتبة الاسلامية، 1948).
- 2 - التنبيه والاشراف، عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي
(اعادت طبعة بالأوفست (بغداد، مكتبة المثنى، د. ت).
- المقدسي البشاري: ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد الشافعي

- (ت380هـ/ 990م): احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، باعثناء دي غويه، ط2 (لیدن، مطبعة بريل، 1906).
- المقدسي: مطهر بن طاهر (ت355هـ/ 965م): البدء والتاريخ (باريس، 1916).
- المقرئ: تقي الدين ابو العباس بن احمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/ 1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، (بغداد، مكتبة المشنى، 1970).
- الملطي: ابو الحسين محمد بن احمد (ت377هـ/ 987م): التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع، تصحيح س. ديدرينغ (استانبول، مطبعة الدولة، 1936).
- المنجم: اسحاق بن حسين (من علماء القرن الخامس الهجري): آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (طبع بالأوفست، د. ت).
- مؤلف مجهول (من القرن الحادي عشر): تاريخ الخلفاء، قام بنشر المخطوطة بطرس غريا زنيويج (موسكو، دار النشر للأداب الشرقية، 1967).
- مؤلف مجهول: الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول، نشره (Von Alhwardt. W) (غريفرولد، مطبعة يولس ابل، 1883).
- مؤلف مجهول: العيون والحقائق في اخبار الحقائق، «من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم» (بغداد، مكتبة المشنى، د. ت).
- الناشئ الاكبر: عبد الله بن محمد (ت293هـ/ 905م): مسائل الامامة، تحقيق يوسف فان اس، (بيروت، المعهد الالمانى للأبحاث الشرقية، 1971).
- النويري: شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1332م): نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى ابراهيم، محمد رفعت فتح الله (القاهرة، المكتبة العربية، 1975).

- اليافعي: ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ/ 1366م):
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1 (حيد
اياد الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1337هـ).
- ياقوت الحموي الرومي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م):
1 - معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، 1977).
- 2 - المشترك زضعاً والمفترق صقعاً، (القاهرة، مؤسسة الخانجي، د. ت).
- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/ 897م):
تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، (النجف، المكتبة الحيدرية،
1964).

ثالثاً: المراجع:

- ابو زهرة: محمد: تاريخ المذاهب الاسلامية، (القاهرة، دار الفكر العربي،
د. ت).
- ابو الشعر: هند غسان: حركة المختار بن عبيدة الثقفي، (جامعة الاردن، 1983).
- ابو النصر: عمر: الخوارج في الاسلام، ط3 (بيروت، منشورات مكتب عمر ابو
النصر للتأليف والترجمة، 1970).
- احمد: محمد حلمي محمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، ط1 (القاهرة،
جامعة القاهرة، 1966).
- اسماعيل، د. محمود:
- 1 - الحركات السرية في الاسلام، ط1 (بيروت، دار القلم، 1974)
- 2 - الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)،

- (بيروت، دار العودة، 1976).
- الاعظمي: عالي الظريف: مختصر تاريخ البصرة، (بغداد، مطبعة الفرات، 1927).
- اعوش: بكير بن سعيد: دراسات اسلامية في الاصول الاباضية، ط2 (الجزائر، 1981).
- امين، احمد:
- 1 - فجر الاسلام، (القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1965)
- 2 - ضحى الاسلام، (القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1965)
- انيس: ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط2 (القاهرة، دار المعارف، 1973).
- أيوار: مادة خوزستان، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة احمد الشتاوي (بيروت، دار الفكر، د.ت).
- باجية: صالح: الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى، ط1 (تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر، 1976).
- بروكلمان: كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس، منير البعلبكي، ط8 (بيروت، دار العلم للملايين، 1979).
- بلات: شارل: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة ابراهيم الكيلاني، (دمشق، دار اليقظة العربية، 1961).
- بك العظم: رفيق: اشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة، ط1 (القاهرة، مطبعة منتديه، د.ت).
- حتي: فليب: تاريخ العرب، ترجمة نافع مبروك، (بغداد، مطبعة النقيض،

- (1946).
- الحديثي: د. قحطان عبد الستار: الدولة العربية في العصور العباسية المتأخرة، (البصرة، مطبعة جامعة البصرة، 1987).
- حسن: د. ابراهيم حسن:
- 1 - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1985).
- 2 - النظم الاسلامية، ط2 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1959).
- حسن: د. علي ابراهيم: تاريخ الاسلامي العام، ط2 (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1959).
- الحسني: هاشم معروف: الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة، (بيروت، دار القلم، 1978).
- حسين: د. طه: اسلاميات، ط1 (بيروت، منشورات دار الآداب، 1967).
- الحلو: د. علي نعمة: الاحواز، ط2 (بغداد، دار بصرى، 1969).
- حميد الله: محمد: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3، (بيروت، دار الارشاد، 1969) ص 396 - 397.
- الخربوطلي: د. علي حسني:
- 1 - الدولة العربية الاسلامية (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1960).
- 2 - ثورات في الاسلام، ط2 (بيروت، دار الآداب، 1978).
- 3 - تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (القاهرة، دار المعارف، 1959).
- الخضري بك: محمد: محاضرات تاريخ الامم الاسلامية، ط8 (القاهرة،

المكتبة التجارية الكبرى، 1382).

- خليفات: عوض محمد:

1 - نشأة الحركة الاباضية، (عمان، 1978).

2 - النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا في مرحلة
الكتمان، ط1 (عمان، 1982).

- الدجيلي: محمد رضا حسن: فرقة الازارقة (دراسة تحليلية تاريخية تبحث في
اصول هذه الفرقة وتطورها)، (النجف، مطبعة النعمان، 1973).

- دكسن: د. عبد الامير عبد حسين: الخلافة الأموية، ط1 (بيروت، دار النهضة،
1937).

- الدوري: د. عبد العزيز: النظم الاسلامية، ط1 (بغداد، مطبعة نجيب، 1950).
- دوزي: ر: تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي (القاهرة، دار المعارف،
1963).

- الراوي: د. ثابت اسماعيل:

1 - تاريخ الدولة العربية (خلافة الراشدين والامويين) (بغداد، مطبعة الارشاد،
1976).

2 - العراق في العصر الأموي، ط2 (النجف، مطابع النعمان، 1970).

الرئيس: محمد ضياء الدين: النظريات السياسية الاسلامية، ط5 (القاهرة، دار
المعارف، 1969).

- رضا: محمد: عثمان بن عفان، ط2 (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي
وسركاه، 1964).

- الزبيدي: د. محمد حسين: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري، (القاهرة، المطبعة العالمية، 1970).
- الزركلي: خير الدين: الاعلام، ط3 (بيروت، دار صادر، 1969).
- زكي: احمد كمال: الحياة الادبية في البصرة الى القرن الثاني الهجري، ط1 (دمشق، دار الفكر، 1961).
- سالم: د. السيد عبد العزيز:
- 1 - التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، (بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، د.ت).
- 2 - تاريخ الدولة العربية «تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية»، (مؤسسة شباب الجامعة، 1988).
- السامرائي: د. عبد الله سلوم: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية، (بغداد، دار واسط للنشر، د.ت).
- سرور: د. محمد جمال الدين: الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة، ط5 (القاهرة، دار الفكر، 1975).
- شاكر: د. محمود: التاريخ الاسلامي، ط2 (بيروت، المكتب الاسلامي، 1983).
- الشايب: احمد: تاريخ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني الهجري، ط3 (القاهرة، مطبعة السعادة، 1962).
- شرف: محمد جلال: نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، (بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، 1982).

- الشريف: د. احمد ابراهيم: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة، ط1 (القاهرة، دار الفكر العربي، 1968).
- شلبي: د. احمد: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، (بغداد، دار واسط للنشر، د.ت).
- صالح: د. صبحي: النظم الاسلامية ونشأتها وتطورها، ط1 (بيروت، دار العلم للملايين، 1965).
- الصالحي: د. عزمي محمد شفيق: الشاعر الخارجي الطرماح بن حكيم الطائي، ط1 (بغداد، مطبعة الاقتصاد، 1971).
- ضرار: صالح ضرار: الحجاج بن يوسف الثقفي، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1966).
- ضيف: د. شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي، ط3 (القاهرة، دار المعارف، 1965).
- عباس: د. احسان: ديوان شعر الخوارج، ط4 (بيروت، دار الشروق، 1982).
- العبود: د. نافع توفيق: آل المهلب بن ابي صفرة ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط1 (بغداد، مطبعة الجامعة، 1979).
- العبيدي: د. ابراهيم خلف: الاحواز ارض سليبه، (بغداد، 1980).
- عطوان: د. حسين: دراسات اسلامية، ط1 (بيروت، دار الجيل، 1997).
- عليان: د. رشدي: الاسلام والخلافة، (بغداد، مطبعة دار الاسلام، 1976).
- علي: جاسم صكبان: دراسات في التاريخ العربي، (الموصل، جامعة الموصل، 1985).

- علي: سيد امير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، ط1 (بيروت، دار العلم للملايين، 1961).
- العلي: د. صالح احمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ط1 (بيروت، دار الطليعة للنشر، 1969).
- عمارة: د. محمد:
- 1 - الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية، ط1 (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977).
- 2 - المعتزلة والثورة، ط2 (بغداد، المكتبة العالمية، 1984، 1980).
- الفراجي: عدنان علي: حركات المعارضة للخلافة الأموية (بغداد، مطبعة الاشعاع، د.ت).
- فروخ: عمر: تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية، (بيروت، دار العلم للملايين، 1970).
- فوزي: د. فاروق عمر: التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، (بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية).
- القلماوي: د. سهير: ادب الخوارج في العصر الأموي (بغداد، 1945).
- كاهن: د. كلود: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، ط1 (بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1972).
- كرد علي: محمد: خطط الشام ط2 (بيروت، دار العلم للملايين، 1969).
- لاندو: روم: الاسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، ط2 (بيروت، دار العلم

للملايين، 1977)

- مذكور: محمد سلام: مناهج الاجتهاد، (الكويت، 1973).
- معروف، د. نايف محمود: الخوارج في العصر الأموي، ط3 (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1986).
- معمر: د. علي يحيى: الاباضية في موكب التاريخ، (القاهرة، مكتبة وهبة، د. ت).
- موتلنسكي: ده: مادة الاباضية، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة احمد الشتناوي (بيروت، دار الفكر، د. ت).
- نادر: البير نصري: اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1958).
- النجار: د. محمد الطيب: الدولة الاموية في الشرق، (القاهرة، دار الكتاب العربي، 1962).
- النجم: عبد الرحمن عبد الكريم: البحرين في صدر الاسلام (بغداد، دار الحرية للطباعة، 1973).
- النص: د. احسان: العصبية القبلية واثرها في الشعر الأموي (القاهرة، دار اليقظة العربية للترجمة والنشر، د. ت).
- النيفر: محمد الطاهر: اهم الفرق الاسلامية (تونس، 1974).
- ولهاوزن: يوليوس:
- 1 - الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958).

- 2 - الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش، (دمشق، مطبعة الجامعة السورية، 1956).
 - 3 - تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريده، (القاهرة، 1958).
 - البيوزيكي: توفيق سلطان: دراسات في النظم العربية والاسلامية (جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1977).
- رابعاً: الرسائل الجامعية غير المطبوعة:
- البابطين: يوسف الشيخ عبد المحسن: حركة الخوارج نشأتها واسبابها، رسالة ماجستير (الكويت، 1977).
 - جاسم: مهند ماهر: الحركات المناهضة لخلافة مروان بن محمد في بلاد الشام والجزيرة الفراتية (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1986).
 - حسن: سهيلة مزبان: الاحواز من التحرير حتى نهاية العصر الأموي (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1988).
 - حمود: هادي حسن: القراء ودورهم في الحياة العامة في صدر الاسلام والخلافة الأموية، (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1984).
 - صالح: نضال حميد سعيد: مروان بن الحكم واثره في السياسة الاموية (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1993).
 - طه: عبد الواحد ذنون: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي من الناحية السياسية والادارية (75-95هـ) (رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1973).

- العباسي: عاصم اسماعيل كنعان: الخلافة الأموية (41-60هـ) رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1995.
- العمر: سمير صالح حسن: عثمان بن عفان سيرته ودوره السياسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، 1990.
- الفلاح: محمد حسين حسن: البصرة ودورها العسكري والاداري من (14-50هـ) رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1989.
- هاشم: مهدي طالب: الحركات الاباضية في المشرق العربي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1973.
- والي: زهرة كوكز: الاحنف بن قيس التميمي وسيرته ودوره في السياسة الأموية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1990.

خامساً: الدوريات:

- ابو الحديد: محمد فريد: مناظر من موقعة صفين، مجلة الرسالة، (القاهرة، العدد الثالث عشر، لسنة 1933). حركات الخوارج في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري، مجلة كلية الآداب، (جامعة البصرة، العدد السادس، لسنة 1972).
- حسن ناجي: التحكيم بين اذرح ودومة الجندل، المجلة التاريخية العراقية (بغداد، العدد الاول، لسنة 1970).
- الرويفي: محمد: التحكيم في الاسلام، مجلة دعوة الحق، (الرباط، العدد الرابع، لسنة 1966).
- صادق: د. جهاد تقي: مسائل اساسية في الفكر السياسي للخوارج، مجلة

- العلوم السياسية (بغداد العدد السابع، لسنة 1990).
- الصالحي: د. عزمي محمد شفيق: نظرية الخوارج في الامامة، مجلة الشريعة (بغداد، العدد الرابع، لسنة 1967 - 1968).
- عبد الرزاق: د. محمود اسماعيل: جدل حول الخوارج وقضية التحكيم، المجلة التاريخية المصرية، العدد عشرين، لسنة 1973.
- عبد الرسول: سليمة: تمصير المدن الاسلامية، المجلة التاريخية العراقية (بغداد، العدد الثاني، 1972).
- معروف: د. بشار عواد: تحرير الاحواز في صدر الاسلام، مجلة افاق عربية، (بغداد، العددان الثالث - الرابع، لسنة 1980).
- النعيمي: د. سليم: ظهور الخوارج، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد، العدد الخامس عشر، 1967).

سادساً: المصادر الاجنبية:

- Hadi, Dr. Naji Hasan:

The Role of the Arab Tribes in the east during the period of the Umayyds "40-660 - 749" (University of Baghdad 1973).

- Macdonald, Duncan B:

Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory, (Bakistan, 1903).

الفهرس